

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم



مجلة معهد المخطوطات العربية

المجلد السادس والعشرون — الجزء الثاني

المحرم ١٤٠١ هـ

نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٨٠ م

مجلة
معهد المخطوطات العربية

مجلة ثقافية تصدر عن معهد المخطوطات فى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
وتعنى بشئون المخطوطات والوثائق العربية وتاريخها

تصدر فى أول مايو وأول نوفمبر من كل سنة
الاشتراك السنوى : ٢٥٠ قرش مصرى للجزأين عدا أجرة البريد
المراسلات والمقالات ترسل باسم
مدير معهد المخطوطات بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
١ – شارع شهاب – الدقى
ج . م . ع





المجلد السادس والعشرون — الجزء الثانى

المحرم ١٤٠١ ه

نوفمبر (تشرين ثان) ١٩٨٠ م

بعض مخطوطات مكتبة الأوقاف
بطرابلس - ليبيا

بقلم د. محمد مرسى الخولى

فى عام ١٩٧٢ قمت بزيارة للجمهورية العربية الليبية — وهو آنذاك — موفداً من المعهد لاستطلاع المخطوطات فى مكتباتها .

وقد استغرقت هذه المهمة شهراً ، وقمت فيه بالطواف على مكتبات طرابلس وبنغازى ، واطلعت فيها على المخطوطات العربية التى تحظى من المسؤلين هناك بالعناية الكبيرة والاهتمام .

وبالطبع فقد كنت أقوم بتسجيل أسماء بعض ما أراه فى كل مكتبة من مخطوطات تبياناً لما فى المكتبة من المخطوطات فى شتى الفنون ، ولكنى لم أقم بحصرها حصر استقصاء ولا قريباً منه .

وقد وجدت من المفيد هنا أن أنشر هذا الذى قيدته ، متبدئا بما سجلته من مكتبه الأوقاف بطرابلس ، على أن أنشر ما سجلته من مكتبه جامعة بنغازى فى عدد تال إن شاء الله .

التفسير	الرقم الخصوصى
١ — مجموعة العبد الذليل على ربع أنوار التنزيل	١٢
٢ — معالم التنزيل فى تفسير القرآن الجليل لأبى محمد الحسن بن مسعود البغوى (جزءان نسخ ١١٠١)	١٩ — ٢٠
٣ — نسخة أخرى	٥٠
٤ — لباب التأويل فى معانى التنزيل للخازن (نسخ ١١٠٤)	٦٩ ، ٧٠
٥ — فتوح الغيث . حاشية على الكشاف للطيبى	٧٩
٦ — التمييز لما أودع الزمخشرى من الاعتزال فى الكتاب العزيز لعمر بن محمد الوكنى	٨٠
٧ — حاشيته على البيضاوى لسعد جلبى (خط ٩٠٩)	٨٢
٨ — نبذة من المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز لابن عطية	٨٦
٩ — حاشية على الكشاف لسعد الدين التفتازانى	٨٧
١٠ — الأسئلة الحسنة المنتخبة والأجوبة المستحسنة الملتقطة لأبى محمد عبد الوهاب النيسابورى	٩٠
١١ — الاغفال فى إعراب القرآن لأبى على الفارسى (خط ٦٧١ هـ)	٩٤
١٢ — الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز للواحدى	٩٦
١٣ — حاشية على تفسير البيضاوى لشيخ زادة	١٣٤
١٤ — تفسير سورة الفاتحة للشيخ محمد قاجة الطرابلسى	١٥٥
١٥ — « القرآن « « « «	٨
١٦ — « « للشيخ الفاسى	١٢

الحديث	الرقم الخصوصى
١٧ — الموطأ للإمام مالك — بلا تاريخ	٢٠
١٨ — الخصائص الكبرى للسيوطى	٢١
١٩ — الكواكب الدرارى شرح صحيح البخارى للكرمانى	٧٦
٢٠ — مشكاة المصابيح لولى الدين أبى عبد الله الخطيب	٧٧
٢١ — كتاب التوشيح تعليق على صحيح البخارى للسيوطى	٨٦
٢٢ — الإصابه فى تمييز الصحابة (٦ أجزاء)	من ١١٠—١١٤
٢٣ — نبذة فى الألفاظ السنية والأنوار السنية لأبى القاسم محمد بن جزى الغرناطى	١٤١
٢٤ — الكوكب المنير فى شرح الجامع الصغير لشمس الدين محمد العلقمى	١٤٧
٢٥ — البدر المنير فى غريب أحاديث البشر النذير للشعرانى	١٥٧
٢٦ — التيسير بشرح الجامع الصغير لعبد الرءوف المناوى	١٦٢
٢٧ — حاشية على صحيح البخارى لسيدى أحمد الزروق	١٦٤
٢٨ — كتاب فى تفسير غريب الحديث للخطابى	١٦٨
٢٩ — الجزء الثانى من جامع العلوم والحكم فى شرح ٥٠ حديثاً من جوامع الكلم لزين الدين عبد الرحمن البغدادى	١٧١
٣٠ — الجزء الأول من مسند الأنصار لأحمد بن حنبل	١٧٣
٣١ — مشارق الأنوار النبوية فى صحيح الأخبار المصطفوية للحسن بن محمد الصغانى	١٨١
٣٢ — شرح الأربعين حديثاً فى ترك الظلم جمع الشيخ الجوهرى الخالدى شرح محمد بن عبد السلام بن ناصر الدرعى	١٨٣
٣٣ — مجموعة تحتوى على فوائد مختلفة منها الشمائل لعدة مؤلفين	١٨٤
٣٤ — جواهر الكلام فى الحكم والأحكام لعبد الواحد بن محمد الآمدى (خط ٩٨٧)	٢٤٣
٣٥ — التنقيح شرح الجامع الصحيح للزركشى	٢١٩

القراءات والتجويد

الرقم الخصوصى

التوحيد

التصوف

الرقم الخصوصى

٥٢ — الجزء الثانى من الترغيب والترهيب المنذرى	١٠٨
٥٣ — التذكرة فى الوعظ لأبن أبى الدنيا	١٣٤
٥٤ — إيقاظ الهمم فى شرح الحكم لابن عطاء الله ومعه الفتوحات الإلهية فى شرح المباحث الأصلية لابن عجيبة	١٣٥
٥٥ — شرح مقدمة ابن رشد للتتائى	١٧٠
٥٦ — شرح أسماء الله الحسنى للغزالى	١٧١

كتب شتى

٥٧ — حياة الحيوان الصغرى للدميرى	١٢
٥٨ — كتاب فى علم الخيل لناصر الدين محمد معلم الخيل الشهير بالحرمى	١٣
٥٩ — كتاب الفلاحة لابن العوام	١٤
٦٠ — المرقبة العليافى تفسير الرؤيالمحمدبن عبد الله راشدالبكرى	٣٦
٦١ — كتاب فى اختلاج الأعضاء لجعفر الصادق	٣٩
٦٢ — تحفة العروس ونزهة النفوس للتيجانى	٤٠
٦٢ — قرعة الطيور لمجهول	٤٢
٦٤ — كتاب فأل هرون الرشيد لعبيد الله بن عبيدالأنس المنجم	٤٤
٦٥ — تعليم المتعلم لبرهان الدين الزرنوجى	٥٠

التاريخ

٦٦ — مختصر الجمال فى أخبار أهل الزمان للشبطى	٥
٦٧ — وفيات الأعيان لابن خلكان (نسخه حديثة)	٦
٦٨ — تاريخ الخلفاء للسيوطى	٨
٦٩ — سياسة الملوك لابن الحضرمى	٩
٧٠ — سير النبلاء للذهبى ج ٢٠	١٨
٧١ — تاريخ الإسلام ج ١٠	٣٣

الرقم الخصوصى

٧٢ — تاريخ من سنة ٦١٥ إلى ٨٨٣ للزركشى	٨٣
٧٣ — الاكتفاء فى سيرة الخلفاء للكردبوسى	٧٨ ، ٧٩
٧٤ — تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية للزركشى	٦٤
٧٥ — رحلة التيجانى	٩٠
٧٦ — كتاب فى التاريخ لمجهول	٣٠٨
٧٧ — التذكار فيمن ملك طرابلس وكان بها من الأخيار لابن غلبون (نسخ ١٠٣٩)	٢٣٨

الفقه المالكى

٧٨ — مواهب الجليل بحل ألفاظ مختصر الشيخ خليل لعلى الأجهورى (نسخ ١١٤٣ هـ)	٣٩
٧٩ — المواهب الجليلة المستنبطة من كلام كل جليل ليتيسر بها حل ألفاظ الشيخ خليل لمحمد بن عبد الله الخرشى (ستة أجزاء)	من ٤٨—٥٣
٨٠ — الإتقان والأحكام فى شرح تحفة الحكام لمحمد ميارة	٦٣
٨١ — الشرح والتقريب فى إيضاح ما أشكل من مسائل التهذيب للشيخ أبى سعيد خلف البرادعى تأليف أبى سعيد خلف بن محمد المعافرى	٦٥، ٦٦
٨٢ — حاشية على شرح الزرقانى على المختصر للشيخ محمد البنانى (نسخ ١١٨٤ هـ) الجزءان ٣ ، ٤	٩٤، ٩٥
٨٣ — مفيد الحكام فى نوازل الأحكام لأبى الوليد هشام بن عبد الله الأزدى	١٠٠

الرقم الخصوصى

الفتاوى المالكية

الرقم الخصوصى

	الرقم الخصوصى
٦٧ ـ أجوبة سحنون (نسخ سنة ١١٢٩ هـ)	٤

الفقه الحنفى

٩٨ ـ حاشية نتائج النظر على الدرر الغرر لنوح بن مصطفى (٣ أجزاء)	١١—١٣
٩٩ ـ شرح على الجواهر النيرة لأبى بكر بن على الحداد لأبى الحسن أحمد بن محمد القدورى	١٤
١٠٠ ـ الرمز على الكنز للشيخ أحمد محد الحمودى حـ ٢	١٥
١٠١ ـ الكافى على الوافى لعبد الله بن أحمد النسفى	١٦
١٠٢ ـ السراج الوهاج على القدورى (٤ أجزاء ثم جزءان من نسخة أخرى)	١٧—٢١
١٠٣ ـ شرح الدورعلى الغرر لمحمد بن فراموز منلا خسرو	٢٢
١٠٤ ـ مجمع البحرين وملتقى النهرين حـ ١	٣٢
١٠٥ ـ ملتقط من علم الفقه للسمرقندى	٣٦
١٠٦ ـ الضياء المعنوى على مقدمة الغزنوى لأبى البقاء أحمد بن أبى الضياء القرشى	٣٧
١٠٧ ـ درر الحكام فى شرح غرر الأحكام لمنلاخسرو	٤٠
١٠٨ ـ شرح الوقاية من مسائل الهداية لعبيد الله وبن مسعود ابن تاج الشريعة	٤١
١٠٩ ـ كتاب الآثار لمحمد بن الحسن الشيبانى (نسخ سنة ٨٧٢ هـ)	٤٤
١١٠ ـ المحيط بالفقه لبرهان الدين محمد بن مازه	٤٦
١١١ ـ تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق للزيلعى (جزء٣، ٤)	٤٧—٥٨
١١٢ ـ شرح مجمع البحرين وملتقى النيرين لعبد اللطيف بن فراشة جـ ١، ٢	٤٨—٤٩

الرقم الخصوصى

١١٣ — شرح على ملتقى الأبحر يسمى غواص البحار للشيخ درويش محمد بن أحمد ٧٤

١١٤ — الشرح المسمى الدر المختار على متن تنوير الأبصار للحصكفى ٨٤

١١٥ — المختار للفتاوى للشيخ ابن البلدجى نسخ سنة ٩٣٤ هـ ٨٨

١١٦ — كتاب الجواهر لطاهر بن قاسم الأنصارى الخوارزمى (م ١٠٦٤) الأول والثانى ١٠٠، ١٢١

١١٧ — القول السديد فى بعض مسائل الاجتهاد والتقليد لابن منلا فروح ١٠٦

١١٨ — الأشباه والنظائر لابن نجيم ١٤٥

الفتاوى الحنفية

١١٩ — الفتاوى الهندية لمحيى الدين محمد أوزناك زيب بهادر ، أربعة أجزاء ١—٤

١٢٠ — مختصر فتاوى قارى الهداية لعبد الله بن محمد الشهير بأوليازاده ٣١

البلاغة

١٢٢ — شرح على متن السمرقندية لأحمد الملوى ١٧

١٢٣ — مواهب الفتاح فى شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المكناسى ج ١ ١٨

١٢٤ — مختصر شرح التلخيص للتفتازانى ج ١ ١٩ — ٢٢

١٢٥ — حاشية على المطول للسيد الجرجانى ٢٣

١٢٦ — المتن فى رسم القرآن ، متن فى التلخيص للقزوينى شرح المتن للجرجانى ٢٤

التعريف بالمخطوطات

ملاحظات حول تأليف خطط المقريزى

للأستاذ أيمن فؤاد سيد

يعد فن كتابة الخطط (الطوبوغرافيا) - وهو نمط من الجغرافيا التاريخية - من الفنون التى اختصت بها مصر الإسلامية . فقد كتب فيه عدد كبير من مؤرخيها كانوا يمهدون الطريق إلى الاكتمال الذى بلغه هذا الفن فى مؤلف المقريزى القيم « المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار » والمعروف « بالخطط » (١) . وقد أحصى المقريزى أسماء هؤلاء المؤرخين وآثارهم فى مقدمته الدقيقة لكتابه الخطط .

فأول من اهتم منهم بالكتابة فى خطط مصر . أبو القاسم عبد الرحمن ابن عبد الله بن **عبد الحكم** المتوفى فى فسطاط مصر سنة ٢٥٧ هـ (٢) ، إلا أن ابن عبد الحكم لم يخصص كتابه « فتوح مصر وأخبارها » كله للخطط ، وإنما أفرد أحد فصوله فقط لوصف خطط الفسطاط والجيزة والإسكندرية . (٣) .

أما أبو عمر محمد بن يوسف **الكندى** المتوفى سنة ٣٥٠ هـ ، فهو أول من أفرد مؤلفاً خاصاً عن الخطط لم يصل إلينا . قال عنه المقريزى :

« أول من رتب خطط مصر وآثارها وذكر أسبابها فى ديوان جمعه ، أبو عمر محمد بن يوسف الكندى » (٤) . ووصل إلينا من مؤلفات الكندى كتابين هما « تسمية ولاة مصر » و « تسمية قضاة مصر » وقد نشرا تحت

---

(١) كراتشكوفسكى : تاريخ الأدب الجغرافى العربى (ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم - القاهرة ١٩٦٣) ٣٨٥ .

(٢) راجع عنه . Roséntha1, F., EI., art. «Ibn 'Abd al - Hakam», III, p. 696 . و « دراسات عن ابن عبد الحكم » للفيف من الأساتذة (القاهرة ١٩٧٥) .

(٣) راجع . Brock.. EI., art. «al - kindi », II, pp.1879 - 1080 .

(٤) المقريزى : الخطط ١ : ٥ .

عنوان «كتاب الولاة وكتاب القضاة» (١). وفى الكتاب نبذ يسيرة عن بعض خطط الفسطاط ومنشآتها الأولى ترد فى سياق الكلام (٢) . ومن آثار الكندى المفقودة والتى يتناول فيها وصف خطط الفسطاط ، كتاب « أخبار مسجد أهل الراية الأعظم » وهو تاريخ المسجد الجامع الذى أنشأه عمرو بن العاص فى وسط خطة أهل الراية ، وكتاب « الجند العربى » وهى من مصادر المقريزى فى الخطط (٣) .

وقد دَرَسَت كثير من خطط الفسطاط قبل الاهتمام بالتأليف فى الخطط ، وهى الخطط التى اختطها الناس حول فسطاط عمرو والجامع العتيق .

ومع قدوم الفاطميين إلى مصر وتأسيسهم مدينة القاهرة لتكون عاصمة لخلافتهم فى سنة ٣٥٨ هـ ، ازدهر نمط التأليف فى الخطط على يد بعض كبار مؤرخيها ، استمروا فى وصف خطط الفسطاط ، ولم يكتبوا شيئاً يذكر عن خطط القاهرة الجديدة التى كانت خاصة بالخليفة وخاصته .

فكتب أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن الحسين المعروف **بابن زُولاق** المتوفى سنة ٣٨٦ هـ (٤) كتابه « خطط مصر » وهو مفقود منذ زمن بعيد فلم يذكره المقريزى فى مقدمته التى ذكر فيها مؤلفو الخطط المصرية ، ولكن ابن خلكان ذكر كتابه هذا وقال إنه « استقصى فيه » (٥) ، ويرى

---

(١) نشره R. Guest فى مجموعة جب التذكارية سنة ١٩٠٥ .

(٢) Guest, R.,«A list of Writers, Books, and other Authorities mentioned by El - Maqrizi in his khitat», JRAS (1902) p. 114

(٣) القلقشندى : صبح الأعشى ٣ : ٣٢٩ .

(٤) ياقوت : معجم الأدباء ٧ : ٢٢٥ — ٢٣٠ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢ : ٩١ — ٩٢ ، ابن حجر : لسان الميزان ٢ : ١٩١ ، Brock., GAL SI, 230

(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢ : ٩١ .

الأستاذ عبد الله عنان أن ابن زولاق ربما استقصى فيه إلى جانب خطط الفسطاط ، خطط العسكر ثم خطط القطائع ، بل لعله تناول أيضاً إنشاء القاهرة المعزية ، فيكون بذلك أول مؤرخ لخططها (١) .

ومن أهم مؤرخي العصر الفاطمى الأمير المختار عز الملك محمد بن عبيد الله بن أحمد **المُسَبِّحى** المتوفى سنة ٤٢٠ هـ (٢) ، صاحب كتاب « أخبار مصر » وهو أثر بالغ الأهمية بلغ عدد أوراقه ثلاثة عشر ألف ورقة كما يذكر ابن خلكان ، ولم يصل إلينا منه إلا الجزء الأربعون فقط ، وفيه بعض حوادث سنة ٤١٤ هـ وحوادث سنة ٤١٥ . ومما وصل إلينا من الكتاب وما نقله عنه المتأخرون يبدو أنه تناول فيه كثيراً من خطط الفسطاط ومعاهدها وقصورها وأسواقها ، حيث كان يقيم هو نفسه فى شارع الحمراء على شاطئ نيل فسطاط مصر (٣) .

وفى زمن خلافة المستنصر بالله كتب أبو عبد الله محمد بن سلامة **القُضَاعِى** (٤) كتابه « المُخْتار فى ذكر الخطط والآثار » وتوفى سنة ٤٥٤ هـ (وفى رواية ٤٥٧ هـ) قبل سنىّ الشدة المستنصرية . يقول المقريزى : « فدثر أكثر ما ذكر . ولم يبق إلا يلمع وموضع بلقع بما حل بمصر من سنىّ الشدة المستنصرية من سنة سبع وخمسين إلى سنة أربع وستين وأربعمائة من الغلاء والوباء ، فمات أهلها ، وخربت ديارها ، وتغيرت أحوالها ، واستولى الخراب على عَمَلِ فَوْق من الطرفين بجانبى الفسطاط الغربى والشرقى . فأما الجانب الغربى فمن قنطرة بنى وائل حيث الورّاقات الآن قريباً من باب القنطرة خارج مدينة مصر ، إلى الشرق المعروف الآن بالرصد وأنت مار

---

(١) عبد الله عنان : مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية (القاهرة ١٩٣٢) ٣٥ .
(٢) راجع ، مقدمة الجزء الأربعين من أخبار مصر للمسبحى (القاهرة ١٩٧٨) .
(٣) المسبحى : أخبار مصر ١٠٩ .
(٤) راجع ترجمته عند : ابن خلكان : وفيات الأعيان ٤ : ٢١٢ — ٢١٣ ، السبكى : طبقات الشافعية الكبرى ٤ : ١٥٠ ، الصفدى : الوافى بالوفيات ٣ : ١١٦ ، Brock., GAL. I, 343, SI. 584 .

إلى القرافة الكبرى . وأما الشرق فمن طرف بركة الحَبَش التي تلي القرافة إلى نحو جامع أحمد بن طولون » . (١)

« ثم دخل أمير الجيوش بدر الجمالي مصر في سنة ست وستين وأربعمائة ، وهذه المواضع خاوية على عروشها . خالية من سكانها وأنيسها ، قد أبادهم الوباء والتباب ، وشتتهم الموت والخراب . ولم يبق بمصر إلا بقايا من الناس كأنهم أموات قد اصْفرّت وجوههم وتغيرت سحنهم من غلاء الأسعار وكثرة الخوف من العسكرية ، وفساد طوائف العبيد والملحية ، ولم يجد من يزرع الأراضي . هذا والطرقات قد انقطعت بحراً وبراً إلاّ بخفارة وكلفة كثيرة . وصارت القاهرة أيضاً يباباً داثرة . فأباح للناس من العسكرية والملحية والأرمن وكل من وصلت قدرته إلى عمارة أن يعمر ما شاء في القاهرة . **وكان هذا أول وقت اختطّ الناس فيه بالقاهرة** » (٢) .

فالقضاعي كان اهتمامه كاهتمام سابقيه بخطط مصر الفسطاط ، حيث كان يقيم أهل مصر جميعاً من العلماء والتجار ومختلف طبقات المجتمع المصري . فقد كانت القاهرة حتى هذا الوقت مدينة خاصة يقيم فيها الخليفة وحاشيته وجنده بمختلف جنسياتهم ، وكانت سنيّ الشدة العظمى سبباً في خراب الفسطاط وانتقال الناس منها . حتى إن بدر الجمالي أباح للناس أن يعمروا ما شاء لهم في القاهرة فكان هذا أول وقت اختطّ الناس فيه بالقاهرة .

وفي زمن المقريزي دثر أكثر ما ذكره الكندي والقضاعي من خطط مصر بسبب الشدة العظمى . ثم بسبب حريق الفسطاط الذي كان في سنة ٥٥٩ هـ . « وقد كان أكثر بناء الفسطاط بالآجر المحكوك والجبس والجير من أوثق بناء وأمكنه . وآثاره الباقية تشهد له بذلك » (٣) . يقول القلقشندي

(١) المقريزي : الخطط ١ : ٥ .
(٢) المقريزي : الخطط ١ : ٤ .
(٣) القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٣٣٤ .

« وإذا نظرت إلى خطط الكندى والقضاعى والشريف النسّابة ، عرفت ما كان الفسطاط عليه من العمارة وما صار إليه الآن » (١) .

وكانت معرفة الكندى والقضاعى بخطط مصر الفسطاط معرفة عظيمة حتى قال عنهما المقريزى : « وناهيك بهما معرفة لآثار مصر وخططها » (٢) وأضاف «وعليهما يعول فى معرفة خطط مصر ومن قبلهما ابن عبد الحكم »(٣).

« ثم كان المنبه بعد القضاعى على الخطط والتعريف بها تلميذه أبو عبد الله **محمد بن بركات** بن هلال **النحوى** المصرى الذى توفى سنة ٥٢٠ هـ بعد أن جاوز المائة (٤) ، وقد صنّف كتاباً فى « خطط مصر » لم يصل إلينا ، قال عنه المقريزى : إنه « تأليف لطيف نبّه فيه الأفضل أبا القاسم شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالى على مواضع قد اغتصبت وتملكت بعد ما كانت أحباساً » (٥) ولا شك أن ذلك كان بعد ما أصاب الناس من سنى الشدة فاغتصبوا المواضع التى وصلت إليها أيديهم بعد أن فقدوا ممتلكاتهم واضطروا إلى ترك منازلهم والانتقال بعيداً عنها .

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ٣ : ٣٣٤ .

(٢) المقريزى : الخطط ٢ : ٢٨٢ — ٢٨٣ .

(٣) المقريزى : الخطط ٢ : ٢٨٢ . وهذه هى الإشارة الوحيدة عند المقريزى لاهتمام ابن عبد الحكم بخطط مصر ، فهو لم يعده فى مقدمته بين من ألفوا فى خططها ، بل قال : إن أول من رتب خططها هو الكندى .

(٤) راجع عنه ، العماد الكاتب : خريدة القصر (قسم مصر) ٢ : ٤٢ — ٤٣ ، ياقوت : معجم الأدباء ١٨ : ٣٩ ، القفطى : إنباه الرواة ٣ : ابن سعيد : النجوم الزاهرة ٣١٠ ، الصفدى : الوافى بالوفيات ٢ : ٢٤٧ ، الذهبى : العبر فى خبر من غبر ٤ : ٤٧ ، السيوطى : حسن المحاضرة ١ : ٥٣٣ وبغية الوعاة ١ : ٥٩ . ابن العماد : شذرات الذهب ٤ : ٦٢ ، Brock., GAL SII, p, 987 .

(٥) المقريزى : الخطط ١ : ٥ .

وآخر من ألف فى الخطط فى زمن الفاطميين أبو عبد الله محمد ابن أسعد بن على بن الحسين المازاندرانى المعروف **بالشريف الجَوّانى** المتوفى سنة ٥٨٨ هـ (١) . كان نقيباً للأشراف فى مصر وألف عدداً من المصنفات منها : « طبقات الطالبيين » و « تاج الأنساب ومنهاج الصواب »(٢) و « الجوهر المكنون فى ذكر القبائل والبطون » و « الروضة الأنيسة بفضل مشهد السيدة نفيسة » (٣) . وبالإضافة إلى ذلك وضع الشريف الجوانى كتاباً فى الخطط عنوانه « النَقْط بَعجْم ما أشْكِل من الخطط » ، قال عنه المقريزى : « نبّه فيه على معالم قد جُهِلت وآثار قد دثرت » (٤) وكان أكثر اهتمام الجوانى بخطط الفسطاط ، وقد وقف المقريزى على كتاب الجوانى بخَطه يقول : « هكذا هو بخط الشريف محمد بن أسعد الجوانى النسّابة وهو أقْعَد بخطط مصر وأعرف من ابن سعيد »(٥). ويؤكد ذلك أيضاً قول القلقشندى : « وإذا نظرت إلى خطط الكندى والقضاعى والشريف النسابة ، عرفت ما كان الفسطاط عليه من العمارة ، وما صار إليه الآن . . . » (٦) .

* * *

وبسقوط خلافة الفاطميين فى مصر سنة ٥٦٧ هـ تحولت البلاد من المذهب الإسماعيلى إلى المذهب السنى وتولت أمرها دولة أخرى تخالف الفاطميين فى نظمها وعقائدها . فقد انتقل أمر مصر إلى الأيوبيين السنيين الذين منعوا كثيراً من الاحتفالات الدينية التى كانت تتم فى زمن الفاطميين الشيعة ، وأبطلوا كثيراً من الشعائر التى كانت فى وقتهم ، وهدموا بعض منشآتهم وأقاموا فى موضعها منشآت جديدة .

(١) ترجمته عند الصفدى : الوافى بالوفيات ٢ : ٢٠٢ ، ابن حجر : لسان الميزان ٥ : ٧٤ ، العماد الكاتب : جريدة القصر (قسم مصر) ١ : ١١٧ ، معجم البلدان ٣:١٥٦ ، Brock., GAL SII,626 وراجع ما كتبه عنه أستاذنا محمود محمد شاكر فى مقدمة « جمهرة نسب قريش وأخبارها » للزبير بن بكار ٣٢ — ٥١ .
(٢) المصدر نفسه ٢ : ٤٣٦ .
(٣) المصدر نفسه ٢ : ٤٤٠ .
(٤) المصدر نفسه ١ : ٥ .
(٥) المقريزى : الخطط ١ : ٢٨٨ .
(٦) القلقشندى : صبح الأعشى ٣ : ٣٣٤ .

ولعل من أهم منشآت الأيوبيين فى مصر « قلعة الجبل » يقول المقريزى :
« وكان سبب بنائها أن السلطان صلاح الدين لما أزال الدولة الفاطمية من مصر واستبد بالأمر لم يتحول من دار الوزارة بالقاهرة ، ولم يزل يخاف على نفسه من شيعة الخلفاء الفاطميين بمصر ومن الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى سلطان الشام ، فامتنع أولا من نور الدين بأن سير أخاه الملك المعظم شمس الدولة تورانشاه بن أيوب فى سنة تسع وستين وخمسمائة إلى بلاد اليمن لتصير له مملكة تحميه من نور الدين . فاستولى شمس الدولة على ممالك اليمن ، وكفى الله تعالى صلاح الدين أمر نور الدين فمات فى تلك السنة ، فخلا له الجو وأمـن جانبه ، ورغب أن يجعل لنفسه معقلا بمصر ، فإنه كان قد قسم القصرين [الفاطميين] بين أمرائه وأنزلهم فيها . فيقال إن السبب الذى دعاه إلى اختيار مكان قلعة الجبل أنه علق اللحم بالقاهرة فتغير بعد يوم وليلة ، فعلق لحم حيوان آخر فى موضع القلعة فلم يتغير إلا بعد يومين وليلتين . فأمر حينئذ بإنشاء قلعة هناك ، وأقام على عمارتها الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدى فشرع فى بنائها ، وبنى سور القاهرة الذى زاده فى سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة وهدم ما هنالك من المساجد ، وأزال القبور ، وهدم الأهرام الصغار التى كانت بالجيزة تجاه مصر — وكانت كثيرة العدد — ونقل ما وجد بها من الحجارة وبنى به السور والقلعة وقناطر الجيزة ، وقصد أن يجعل السور يحيط بالقاهرة والقلعة ومصر ، فمات السلطان قبل أن يتم الغرض من السور والقلعة ، فأهمـل العمل إلى أن كانت سلطنة الملك الكامل فى قلعة الجبل واستنابته فى مملكة مصر وجعله ولى عهد فأتم بناء القلعة وأنشأ بها الآدر السلطانية وذلك فى سنة أربع وستمائة ، وما برح يسكنها حتى مات . فاستمرت من بعده داراً لمملكة مصر إلى يومنا هذا » (١) .

أقول وقد استمرت كذلك أيضاً إلى زمن محمد على باشا حتى منتصف القرن التاسع عشر الميلادى .

---

(١) المقريزى : الخطط ٢ : ٢٠٣ .

ولعل أهم ما أحدثه الأيوبيون فى مصر والقاهرة بناء المدارس لتدريس المذهب السنى . فقد رأى سلاطين الأيوبيين أن ينشئوا مساجد لا تفقد وظيفة الجامع . وفى الوقت نفسه لا تقتصر عليها . فكانت المدارس التى أنشئ عدد كبير منها فى القاهرة والفسطاط (١) .

وهكذا فقدت القاهرة الكثير من رونقها وهيئتها وحضارتها فى زمن الأيوبيين ، يقول المقريزى : « . . . فصارت القاهرة مدينة سكنى بعد ما كانت حصناً يعتقل به ، ودار خلافة يلتجأ إليها ، فهانت بعد العز وابتذلت بعد الاحترام ، وهذا شأن الملوك ما زالوا يطمسون آثار من قبلهم ويميتون ذكر أعدائهم . . . » (٢) .

ويصف على بن سعيد المغربى المتوفى سنة ٦٨٥ ﻫ والذى زار القاهرة وأقام فيها مدة فى آخر دولة الأيوبيين وأول دولة المماليك ، يصفها فى هذا الوقت بقوله : « هذه المدينة اسمها أعظم منها ، وكان ينبغى أن تكون فى ترتيبها على خلاف ما عاينته ، لأنها مدينة بناها المعز أعظم خلفاء العبيديين » (٣) ، « وأكثر دروبها ضيقة مظلمة ، كثيرة التراب والأزبال ، والمبانى عليها من قصب وطين ، مرتفعة قد ضيّقت مسلك الهواء والضوء بينها . ولم أر فى جميع بلاد المغرب أسوأ حالا منها فى ذلك . ولقد كنت إذا مشيت فيها يضيق صدرى وتدركنى وحشة عظيمة حتى أخرج إلى بين القصرين » . (٤)

ولا نصادف فى زمن الأيوبيين من يهتم بالكتابة عن خطط مصر والقاهرة ، فقد غلب على عصرهم الطابع الحربى ومواجهة القوى الصليبية

---

(١) راجع عن مدارس القاهرة فى زمن الأيوبيين ، أحمد فكرى : مساجد القاهرة ومدارسها ، العصر الأيوبى (القاهرة ١٩٦٩) ٤٩ — ٧٥ .

(٢) المقريزى : الخطط ١ : ٣٤٨ .

(٣) ابن سعيد : النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة ٢٢ .

(٤) المصدر نفسه ٢٤ .

الغاشمة التي هددت الشرق الإسلامى بأثره ، وكان للأيوبيين فضل الذود عن الإسلام أمام حملات الصليبيين المختلفة ، وتقليص ممالكهم التى أقاموها فى الشام واسترداد مملكة بيت المقدس .

* * *

وفى زمن المماليك تقاربت المبانى والمنشآت وزاد عدد سكان مدينة القاهرة ، وابتنى الناس فى موضع القصرين الفاطميين ، وأنشأوا أحياء جديدة مما أدى إلى امتداد مساحة القاهرة ، يقول المقريزى : « ثم تزايدت العمارة . . . فى الأيام الناصرية محمد بن قلاوون بالقاهرة وظواهرها ، إلى أن كادت تضيق على أهلها حتى حل بها وباء سنة تسع وأربعين وسنة إحدى وستين ، ثم غلاء سنة ست وسبعين فخربت بها عدة أماكن . فلما كانت الحوادث والمحن من سنة ست وثمانمائة شمل الخراب القاهرة ومصر وعامة الإقليم » (١) .

وواقع الأمر أن قاهرة الفاطميين غابت عنا اليوم معالمها ولم يبق لنا إلا قاهرة المماليك بمساجدها الضخمة وحماماتها ومدارسها وخوانقها ومسالكها ودروبها .

فكتب القاضى محيى الدين أبو الفضل عبد الله بن رشيد الدين **بن عبد الظاهر** المتوفى سنة ٦٩٢ هـ (٢) كتابه « الروضة البهية الزاهرة فى خطط لمعزية القاهرة» ،قال عنه المقريزى : «فتح فيه باباً كانت الحاجة داعية إليه»(٣).

فهو أول مؤلف مصرى خصّص كتاباً لخطط القاهرة ، كان الأساس

---

(١) المقريزى : الخطط ١ : ٥ .

(٢) راجع عنه ، Pedersen, J., EI., art. « Ibn , Abd al - Zahir » III, p. 701 - 702

(٣) المقريزى : الخطط ١ : ٥ .

الذى اعتمد عليه كل من القلقشندى والمقريزى وأبى المحاسن ، وللأسف لم يصل إلينا من مؤلفات ابن عبد الظاهر سوى مؤلفاته التاريخية فقط ، أما كتابه فى الخطط فقد فقد منذ زمن ، والنقول الكثيرة عنه عند القلقشندى والمقريزى تفيد بأنه كان مؤرخاً أثرياً (١) .

وقد وقعت لأبى بكر بن عبد الله **بن أيبك الدوادارى** المتوفى سنة ٧٣٦ هـ (٢) مسودة كتاب ابن عبد الظاهر يقول : « وقعت على مسودة مجلدة بخط يد القاضى ابن عبد الظاهر ، رحمه الله ، يقول فى أولها : الروضة البهية فى خطط القاهرة المعزية ، جمع الفقير إلى الله تعالى فى سنة ٦٤٧ هـ » (٣) ولخص ابن أيبك قسماً من كتاب ابن عبد الظاهر بطريقة غير منظمة فى الجزء الذى خصصه للدولة الفاطمية من كتابه « كنز الدرر وجامع الغرر » والمسمى « الدرة المضيّة فى أخبار الدولة الفاطمية » ، وعلق على ما لخصه من كتاب ابن عبد الظاهر بقوله : هذا ما لخصته من كتاب الخطط ، وهو مسودة بغير ترتيب ، ولا هى كلام متوال . وقصدى إن فسح الله فى الأجل ، بعد تكملة هذا التاريخ ، أن أنشئ كتاباً يتضمّن خطط القاهرة أسَمّيه « الروضة الزاهرة فى خطط القاهرة » ، آتى فيه بما لم أسبق إليه من فنون ، تشنّف السامع وتنزه العيون ، وذلك لما استضويت بهذه الأنوار ، المفترعة من أبكار الأفكار ، فيكون ذلك أسساً للبناية ، ونوراً للهداية ، والمرجو من الله تعالى إدراك هذه النية ، وبلوغ هذه الأمنية ، إنه بالإجابة جدير ، وهو على كل شئ قدير » (٤) .

ولا ندرى على وجه اليقين إن كان ابن أيبك قد تمكن من كتابة كتابه عن الخطط ، سوى أنه يقول فى الجزء السابع من كتابه « كنز الدرر »

---

(١) Casanova, op cit,, p. 505 .

(٢) راجع عنه ، Lewis, B., EI., art. «Ibn al - Dawadari», III, p. 767.

(٣) ابن أيبك : كنز الدرر وجامع الغرر ٦ : ١٣٧ .

(٤) المصدر نفسه ٦ : ١٤٢ .

وهو يذكر خبر الصالح طلائع بن رُزِّيك : « وهذا الصالح الذى بنى هذا الجامع الذى بظاهر باب زويلة ، وقد ذكرته فى كتابى المسمى « اللقط الباهرة فى خطط القاهرة » (١) .

وإذا كان ابن عبد الظاهر قد خصص كتابه لذكر خطط القاهرة ، فقد كان هناك فى الوقت نفسه من هو مستمر فى الكتابة عن خطط الفسطاط ، يقول المقريزى : « وآخر ما رأيت من الكتب التى صنفت فى خطط مصر كتاب « إيقاظ المتغفل واتعاظ المتأمل » تأليف القاضى الرئيس تاج الدين محمد بن عبد الوهاب **بن المتوّج** الزبيرى رحمه الله ، وقطع على سنة خمس وعشرين وسبعمائة ، فذكر من الأخطاط المشهورة بذاتها لعهده اثنين وخمسين خطا ، ومن الحارات اثنتى عشرة حارة ، ومن الأزقة المشهورة ستة وثمانين زقاقاً ، ومن الدورب المشهورة ثلاثة وخمسين درباً ، ومن الخوخ المشهورة خمساً وعشرين خوخة ، ومن الأسواق المشهورة تسعة عشر سوقاً ، ومن الخطط المشهورة بالدور ثلاثة عشر خطاً ، ومن الرحاب المشهورة خمس عشرة رحبة ، ومن العقبات المشهورة إحدى عشرة عقبة ، ومن الكيمان المسماة ستة كيمان ، ومن الأقباء عشرة أقباء ، ومن البرك خمس برك ، ومن السقائف خمساً وستين سقيفة ، ومن القياسر سبع قياسر ، ومن مطابخ السكر العامرة ستة وستين مطبخاً ، ومن الشوارع ستة شوارع ، ومن المحارس عشرين محرساً ، ومن الجوامع التى تقام فيها الجمعة بمصر وظاهرها من الجزيرة والقرافة أربعة عشر جامعاً ، ومن المساجد أربعمائة وثمانين مسجداً ، ومن المدارس سبع عشرة مدرسة ، ومن الزوايا ثمانى زوايا ، ومن الربط التى بمصر والقرافة بضعاً وأربعين رباطاً ، ومن الأحباس والأوقاف كثيراً ، ومن الحمامات بضعاً وسبعين حماماً ، ومن الكنائس وديارات النصارى ثلاثين ما بين دير وكنيسة ، وقد باد أكثر ما ذكر ودثر . . . (٢) ، ومعظم ذلك فى وباء سنة تسع وأربعين وسبعمائة ،

(١) ابن أيبك : كنز الدرر ٧ : ١٨ .

(٢) المقريزى : الخطط ١ : ٣٤٢ — ٣٤٣ .

ثم فى وباء سنة إحدى وستين ، ثم فى غلاء سنة ست وسبعين وسبعمائة » (١).

ومن هذا الوصف الذى أورده المقريزى لكتاب ابن المتوج المتوفى سنة ٧٣٠ هـ يتضح لنا أهمية كتابه الذى خصه فقط بالفسطاط وقد نقل عنه أيضاً فى مواضع كثيرة القلقشندى عند وصفه الفسطاط فى كتابه « صبح الأعشى » (٢).

الخِطَط بين المَقْريزى والأَوْحَدِى وابن دُقْمَاق :

آخر مؤلفى الخطط الذين ذكرهم المقريزى واستفاد منهم هو ابن المتوج، وكتب بعد ابن المتوج اثنان من أشهر مؤرخى الخطط لم يشر إليهما المقريزى ، أحدهما وصل إلينا قسم من كتابه هو ابن دقماق ، والثانى فُقِد كتابه هو الأوحدى.

فابن دُقْمَاق ، صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائى المتوفى سنة ٨٠٩ هـ / ١٤٠٧ م (٣) صنف عدداً كبيراً من الكتب فى فن التاريخ والطبقات وصل إلينا منها بعضها . وكان قليل الإحاطة بالعربية عامى العبارة ، كما كان من غلاة الحنفية وصنف كتاباً فى طبقاتهم عنوانه « نظم الجمان » فى ثلاث مجلدات امتحن بسببه (٤).

ويهمنا فى هذا الموضع من مؤلفات ابن دقماق كتاب « الانتصار لواسطة عقد الأمصار » (٥) الذى وصل إلينا منه جزءان هما : الجزء الرابع والجزء الخامس . وتبدو قيمة هذا المؤلف خاصة بالنسبة لمدينة الفسطاط وخططها.

(١) المقريزى : الخطط ١ : ٥ .

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ٣ : ٣٣٣ و ٣٣٤ و ٣٣٦ و ٣٣٨ و ٣٤١ .

(٣) راجع ترجمته عند أبى المحاسن : المنهل الصافى ١ : ١٢٠ — ١٢١ ، السخاوى : الضوء اللامع ١ : ١٤٥ — ١٤٦ ، كراتشكوفسكى : تاريخ الأدب الجغرافى العربى ٤٦١ ، Brock., GAL, II, 50, 67, SII, 49: Pedersn,J.EI., art. «Ibn Duqmaq», III, p, 779.

(٤) السخاوى : الضوء اللامع ١ : ١٤٥ .

(٥) نشره فولرز فى مصر سنة ١٣٠٩هـ .

وكان المقريزى من تلامذة ابن دقماق فلا عجب أن عرف مؤلفاته جيد ، ولكنه لا ينقل عنه على الإطلاق ، ويرى كراتشكوفسكى أنه من الممكن أن يكون المقريزى قد أغفل ذكر كتاب شيخه ابن دقماق عمداً لأن المقريزى كان شافعياً متطرفاً على حين كان ابن دقماق من غلاة الحنفية(١).

أما الأَوْحَدِى (٢) ، أحمد بن عبد الله بن الحسن بن طوغان المتوفى سنة ٨١١ هـ (٣) ، فكان أديباً معتنياً بالتاريخ لهجاً به ، شافعى المذهب ، كتب مسودة كبيرة لخطط مصر والقاهرة بيّض بعضها وأفاد فيها كما قال ابن حجر (٤) .

واتّهم المؤرخ المصرى شمس الدين السخاوى التقى المقريزى بأنه سطا على مسودة جاره الأوحدى فى الخطط ، فبيضها وزاد عليها ونسبها لنفسه ، ولم يترك السخاوى مناسبة فى مؤلفاته ، ذكر فيها الأوحدى أو المقريزى ، إلا أثار فيها هذه القضية وهو يكرر فى كل مرة اتهامه للمقريزى بالسطو على مسودة الأوحدى وتبيضها مع إضافة زيادات لا طائل لها ونسبها لنفسه (٥) .

---

(١) كراتشكوفسكى : تاريخ الأدب الجغرافى العربى ٤٨٢ .

(٢) عرف بذلك لأن جده الحسن بن طوغان قدم من بلاد المشرق سنة عشر وسبعمائة فاتصل بخدمة بيبرس الأوحدى نائب القلعة وناب عنه فشهر بذلك (ابن حجر : أنباء الغمر ٢ : ٤٠٦) .

(٣) راجع ترجمته عند المقريزى : المقفى (مخ . السليمية) ١١٠ ظ ، ابن حجر : إنباء الغمر (تحقيق حسن حبشى) ٢ : ٤٠٦ ، السخاوى : الضوء اللامع ١ : ٣٥٨–٤٥٩ والإعلان بالتوبيخ ٦٤٧ ، السيوطى : حسن المحاضرة ١ : ٥٥٦ .

(٤) ابن حجر : إنباء الغمر ٢ : ٤٠٦ .

(٥) المواضع التى اتهم فيها السخاوى المقريزى بالسطو على مسودة الأوحدى :

١ — قال فى ترجمة الأوحدى : « واعتنى بالتاريخ وكان لهجاً به ، وكتب مسودة كبيرة لخطط مصر والقاهرة تعب فيها وأفاد وأجاد ، وبيض بعضها فبيضها التقى المقريزى ونسبها لنفسه مع زيادات » (الضوء اللامع ١ : ٣٥٨) .

٢ — قال فى ترجمة المقريزى : « وأقام ببلده عاكفاً على الاشتغال بالتاريخ حتى اشتهر به ذكره وبعد فيه صيته وصارت له فيه جملة تصانيف كالخطط للقاهرة وهو مفيد =

وشغلت هذه القضية التى آثارها السخاوى، عدداً من الباحثين، خلصوا إلى تبرئة المقريزى من تهمة السطو على مسودة الأوحدى . غير أن دراسة العلاقة بين كل من ابن دقماق والأوحدى والمقريزى ، بالإضافة إلى مسودة خطط المقريزى الجديدةالتى وصلت إلينا تجعلنا نعيد الظر مرة أخرى فى صحة هذا الاتهام .

فأقدم هؤلاء الثلاثة ابن دقماق ولد سنة ٧٥٠ هـ ، أما الأوحدى والمقريزى فهما متقاربان فى السن ، ولد الأول فى سنة ٧٦١ هـ ، أما الثانى فقد ولد بعده بخمس سنوات فى سنة ٧٦٦ ، وكان جاراً له وقد اهتما بدراسة موضوع واحد هو خطط القاهرة . وكان الأوحدى حريصاً على عدم إطلاع جاره المقريزى على كتبه ، لعلمه باهتمام المقريزى بنفس موضوعه . وتوفى

=لكونه ظفر بمسودة الأوحدى – كما سبق فى ترجمته – فأخذها وزادها زوائد غير طائلة ... » . (الضوء اللامع ٢ : ٢٢ والتبر المسبوك ٢٢) .

٤ – قال عند ذكر المؤلفات الخاصة بالقاهرة : « وكذا جمع خططها المقريزى وهو مفيد . قال لنا شيخنا أنه ظفر به مسودة لجاره الشهاب أحمد بن عبد الله بن الحسن الأوحدى ، بل كان يبض بعضه فأخذها وزاد عليه زيادات ونسبها لنفسه » . (الإعلان بالتوبيخ ١٣١) .

وهنا يذكر السخاوى أن شيخه ابن حجر هو الذى قال له : إن المقريزى سطا على كتاب الأوحدى ، ولم أجد فيما كتبه ابن حجر عن المقريزى أو الأوحدى ذكر لهذا الاتهام ، بل على العكس فإن السخاوى نفسه ينقل فى ترجمته للمقريزى عن ابن حجر ما نصه : « وقد ترجمه شيخنا فى معجمه بقوله : وله النظم الفائق والنثر الرائق والتصانيف الباهرة وخصوصاً فى تاريخ القاهرة فإنه أحيا معالمها وأوضح مجاهلها وجدد مآثرها وترجم أعيانها . (الضوء اللامع ٢ : ٢٤ والتبر المسبوك ٢٤) .

ولم يكتف السخاوى باتهام المقريزى بالسطو على مسودة الأوحدى فى الخطط ، بل اتهمه أيضاً بأنه قليل المعرفة بالمتقدمين ، ولا يفصح عمن ينقل عنه . يقول فى ترجمته : « ... وكان حسن المذاكرة بالتاريخ لكنه قليل المعرفة بالمتقدمين ، ولذلك يكثر له فيهم وقوع التحريف والسقط ، وربما صحف فى المتون ..... وأما فى المتأخرين فقد انفرد فى تراجمهم بما لا يوافق عليه » . (الضوء اللامع ٢ : ٢٣ ، التبر المسبوك ٢٣) .

وقال فى التبر المسبوك ١٠٣ : « وقد كان التقى المقريزى كثير الاعتماد على هذا فيما يخبر به مما يتعلق بالتاريخ ونحوه من غير إفصاح بالنقل عنه على عادته » .

الأوحدى شاباً قبل أن يُكمِل تأليف كتابه وتركه مسودة لم يبيضها ، بينما عمرَّ المقريزى بعده أربعاً وثلاثين عاماً ، متنقلا فى بعض المناصب العامة ، مرتحلا إلى الشام والحجاز .

وأغفل المقريزى ذكر ابن دقماق والأوحدى وهو يعدّد مؤرخى الخطط فى مصر الإسلامية فى مقدمة كتابه « المواعظ والاعتبار » ، غير أنه ترجم للأوحدى ترجمة مفيدة فى كتابه « درر العقود الفريدة » ، أثبتها السخاوى فى كتابه « الضوء اللامع » اعترف فيها بانتفاعه بمسوداته فى الخطط ، وقال عنه : « كان ضابطاً متقناً ذاكراً لكثير من القراآت وتوجيهها وعللها ، حافظاً لكثير من التاريخ سيما أخبار المصريين ، فإنه لا يكاد يشذ عنه من أخبار ملوكها وخلفائها وأمرائها وقلع حروبها وخطط دورها وتراجم أعيانها إلاّ اليسير . . . » (١) .

فهذه الشهادة تدلنا على أن الأوحدى كان عارفاً بتاريخ المصريين ، وخطط القاهرة ، فلا شك أن المقريزى اطلع على مؤلفات الأوحدى ، وبتعبير أدق مسوداته عن الخطط .

وقد نقل المقريزى عن الأوحدى فى موضع واحد فى كتابه « المواعظ والاعتبار » ، قال : « وأخبرنى المقرئ الأديب المؤرخ الضابط شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن الحسن الأوحدى ، رحمه الله ، قال : أخبرنى المؤرخ ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات ، قال : أخبرنى العلامة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الصائغ الحنفى أنه أدرك بجامع عمرو ابن العاص بمصر قبل الوباء الكائن فى سنة تسع وأربعين وسبعمائة بضعاً وأربعين حلقة لإقراء العلم لا تكاد يبرح منها » (١) .

ولا ندرى سبباً واضحاً يجعل المقريزى يُغفل عمل الأوحدى ويتجاهله ،

---

(١) السخاوى : الضوء اللامع ١ : ٣٥٩ .
(٢) المقريزى : الخطط ٢ : ٢٥٦ .

رغم شهادته له بحفظه لكثير من التاريخ ، ومعرفته بخطط ودور مصر وتراجم أعيانها ، إلا أن تكون الغيرة العلمية .

ومع إشارة معاصرى الأوحدى إلى كتابته خططاً للقاهرة مات عنها مسودة لم يبيضها ، فيبدو أنها فقدت فى أعقاب وفاته مباشره ، أو أن المقريزى نفسه أتلفها بعد أن استفاد منها ، فلا نجد أى إشارة إليها أو نقل عنها عند أحد من المؤرخين المتأخرين .

وكان الأوحدى كما وصفه ابن حجر لهجاً بالتاريخ ، فقد وقف على كثير من المؤلفات الخاصة بتاريخ مصر والقاهرة ، وسجل عليها بخطه استفادته منها وانتفاعه بها ، فمن ذلك ما دونه على الورقة ١٣٤ و من مخطوطة كتاب « الولاة والقضاة » للكندى المحفوظة فى المتحف البريطانى مفيداً أنه أمتلكها فى شهر رمضان سنة ٨٠٥ هـ (١) .

وكثيراً ما نجد اسمه جنباً إلى جنب مع اسم المقريزى على بعض مؤلفات تاريخ مصر الإسلامية مثل ما جاء على الورقة ١٣٢و ،وهى صفحة غلاف كتاب « أخبار مصر » للمسبحى المحفوظة فى الاسكوريال . ونصه : « طالعه أحمد بن عبد الله بن الحسن بن الأوحدى بالقاهرة سنة ٨٠٣ » ، وأثبت المقريزى على الصفحة نفسها ما نصه : « استفاد منه داعياً له أحمد ابن على المقريزى » (٢) .

وعلى مخطوطة كتاب « المغرب فى حلى المغرب » لابن سعيد المغربى نسخة دار الكتب المصرية نجد توقيع المؤرخين الثلاثة : ابن دقماق ، والأوحدى ، والمقريزى وهو آخر من وقع عليها . وهذا الكتاب أحد أهم مصادر المقريزى فى كتابيه : « الخطط » و « اتعاظ الحنفا » (٣)

---

(١) الكندى : الولاة والقضاة (نشرة جست) المقدمة ص ٤٧ .

(٢) المسبحى : أخبار مصر (نشر أيمن فؤاد سيد ، وتيارى بيانكى) ص ١ ولوحة ١ .

(٣) ابن سعيد : المغرب (نشر زكى محمد حسن ، القاهرة ١٩٥١) ص ٥٩ ولوحة ٣ .

ومما سلف يمكننا أن نذهب إلى أن الأوحدى كتب مسودة خطط القاهرة وبيض قسماً منها ، فى الوقت الذى كان جاره المقريزى مهتماً بالموضوع نفسه ، ويبدو أن الأوحدى كان حريصاً على حجب مصادر معلوماته عن جاره المقريزى فلما مات الأوحدى فى سنة ٨١١ هـ قبل أن يتم كتابه ، ظفر به مسودة المقريزى وأخذ فى مراجعة مصادره والمكتبات التى اعتمد عليها الأوحدى ، فعرف المصادر التى استخدمها ورجع إليها مباشرة . ومن سوء الحظ أن معظم المصادر المذكورة فى كتاب الخطط قد فقدت منذ زمن ، ولم يصل إلينا منها إلا نحو خمس كتب تشهد بأنه امتلكها أو استفاد منها كل من الأوحدى والمقريزى وابن دقماق، ودائما كان تاريخ استخدام المقريزى لهذه المصادر متأخراً عن استخدام ابن دقماق والأوحدى لها . ويغلب على ظنى أن نسخ هذه الكتب كانت قليلة فى زمن المقريزى حتى إن المؤرخين الثلاثة ، كما يتضح لنا ، قد استخدموا فى مراجعتهم نسخة واحدة فقط .

ومما يدل على معرفة المقريزى بما كتبه الأوحدى أو انتخبه من مؤلفات القدماء أن النسخة الوحيدة لكتاب « الذخائر والتحف» المنسوب للقاضى الرشيد بن الزبير والمحفوظة فى مكتبة أفيون قره حصار فى تركيا كتبها شيخ المقريزى ابن دقماق ، وأثبت فى آخرها ذيل على الكتاب جاء فى أوله : « زيادات على ما وجد من كتاب الهدايا والتحف (كذا) اختارها صاحبنا الأمير الأجل شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن الحسن الأوحدى المقرئ الشافعى » (١) .

وكتاب «الذخائر والتحف» من أهم مصادر المقريزى فى « الخطط » و « الاتعاظ » . ونقل المقريزى فى مسودة الخطط المحفوظة فى مكتبة خزينة نصاً عن هذا الكتاب أرجح أنه من هذه النسخة نفسها التى وصلت إلينا ،

---

(١) الرشيد بن الزبير : الذخائر والتحف ٢٦٥ .

نصه : « وقال فى كتاب « الذخائر والتحف وما كان بالقصر من ذلك » ، وهو جمع بعض المصريين ، مجهول المصنف وفيه فوائد جمة ومنه نقلت ما نصه . . . » (١) .

وهذا العنوان هو نفسه العنوان المثبت على مخطوطة أفيون قرة حصار (٢) ، وأهمل المقريزى ذكر جامع هذا الكتاب ، واكتفى بالقول بأنه جمع بعض المصريين .

وأستطيع أن أؤكد — إن لم يجانبنى التوفيق — أن مسودة خطط المقريزى المحفوظة بمكتبة خزينة باستامبول ، تحوى قسماً من مسودة الأوحدى وتبين لنا المنهج الذى أراد أن يتّبعه فى تصنيفه فقد أراد أن يذكر خطط القاهرة وما خرج عليها من جهاتها الأربع فقط فقد جاء فى ورقة ٢٥ و من مخطوطة خزينة ما نصه :

« وسأذكر إن شاء الله من خطط القاهرة وظواهرها ما أقدر عليه مما وقفت على خبره فى كتب التواريخ ، أو أخبرنيه من أثق به أو شاهدته ، سالكاً فى ذكر ذلك الطريق إلى بين الإكثار والاختصار ، وبالله أستعين فهو المعين لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه أنيب . وأبدأ أولا بذكر القصور الزاهرة وإيراد ما كانت عليه فى مدة الدولة الفاطمية ، ثم ما صارت إليه بعد ذلك . وأعقب ذكر القصور الزاهرة بذكر الحارات والخطط بالقاهرة ثم أذكر ما خرج عن القاهرة من جهاتها الأربع فيما بين القاهرة ومصر ، وفيما بين القاهرة وشاطئ النيل ، وفيما بين القاهرة والمطرية ، وفيما بين القاهرة والجبل الشرقى إن شاء الله » (٣) .

---

(١) المقريزى : الخطط (مخ. خزينة) ٥٨ و . وقارن (ط بولاق) ٢ : ٢٨٧ .
(٢) أنظر الصفحة الأولى من كتاب الذخائر والتحف .
(٣) المقريزى : الخطط (مخ . خزينة) ٢٥ و .

وقد درس المقريزى فى هذه المسودة ما هو محدد فى هذا التخطيط ولكن ليس بالمخطوطة ذكر « ما خرج عن القاهرة من جهاتها الأربع » . وهو غير موجود أيضاً فى الصورة الأخيرة للكتات التى وصلت إلينا ، إلا فى صورة موجزة استغرقت صفحتين من طبعة بولاق عند « ذكر حد القاهرة » (١) فقد كان هذا هو منهج الأوحدى ولم تحو مسودته التى ظفر بها المقريزى ، على ذكر ما خرج عن القاهرة من جهاتها الأربع فقد وافته المنية قبل أن يكمله ، وفى الوقت نفسه لم يهتم المقريزى بالبحث عنه وتسجيله.

ولعل من أهم فوائد هذه المسودة التعرف على أسلوب القدماء فى التأليف ، فقليلا ما وصلت إلينا مسودات المؤلفين ، ولكن هذه المسودة توضح لنا منهج أحد علماء المسلمين،وهو واحد من كبار مؤرخى الإسلام فى التصنيف . ففى المخطوطة حذف وكشط وشطب كثير ، مع إضافة تغييرات كثيرة على هوامش الصفحات ، وطيارات بين صفحات الكتاب فيها فوائد كثيرة منقولة عن مصادرها الأصلية . وفى كل مرة يأتى المقريزى بالخبر مسبوقاً باسم صاحبه واسم كتابه الذى نقل عنه ، ولكنه أسقط الكثير من هذه البيانات فى مبيضته الأخيرة ! رغم أنه أوضح المنهج الذى اتبعه فى تأليف كتابه «المواعظ والاعتبار» فى مقدمته الدقيقة قائلا : « وأما أى أنحاء التعاليم التى قصدت فى هذا الكتاب ، فإنى سلكت فيه ثلاثة أنحاء وهى :

النقل من الكتب المصنفة فى العلوم ، والرواية عمن أدركت من مشيخة العلم وجلة الناس ، والمشاهدة لما عاينته ورأيته .

فأما النقل من دواوين العلم التى صنفوها فى أنواع العلوم فإنى أعزو كل نقل إلى الكتاب الذى نقلته منه لأخلص من عهدته وأبرأ من جريدته ، فكثيراً ممن ضمنى وإياه العصر واشتمل عليه المصر صار لقلة إشرافه على العلوم وقصور باعه فى معرفة علوم التاريخ وجهل مقالات الناس ، يهجم بالإنكار على ما لا يعرفه ، ولو أنصف لعلم أن العجز من قبله . وليس

(١) المقريزى : الخطط (ط . بولاق) ١ : ٣٦٠ - ٣٦١ .

ما تضمنه هذا الكتاب من العلم الذى يقطع عليه ولا يحتاج فى الشريعة إليه ، وحسب العالم أن يعلم ما قيل فى ذلك ويقف عليه .

وأما الرواية عمن أدركت من الجلة والمشائخ فإنى فى الغالب والأكثر أصرح باسم من حدثنى إلا أن يحتاج إلى تعيينه أو أكون قد أنسيته ، وقل ما يتفق مثل ذلك .

وأما ما شاهدته فإنى أرجو أن أكون ولله الحمد غير متهم ولا ظنين .

. . . . . .

وعزمى أن أجعل الكلام فى كل خط من الأخطاط ، وفى كل أثر من الآثار على حدة ليكون العلم بما يشتمل عليه من الأخبار أجمع وأكثر فائدة وأسهل تناولا »(١) .

وكان المقريزى دائم الاهتمام بكتابه ، وقد أخذ يضيف إليه ويحذف منه طوال ما يقرب من ثلاثين عاماً . وقد سجل فى بعض مواضع من كتابه الزمن الذى كتب فيه ، وأقدم هذه الإشارات تعود إلى سنة ٨١٤هـ ، يقول فى موضع من مسودته : « مررت يوماً فى سنى أربع عشرة وخمس عشرة وثمانمائه ... »(٢) .

وعندما نقل وصف ابن المتوج للمقياس أضاف : « قلت وهو باق إلى يومنا هذا ، أعنى سنة عشرين وثمانمائة »(٣) . وكتب فى موضع آخر : « قال مؤلفه ، رحمه الله تعالى ، وكان بأرض مديَن عدة مدائن كثيرة قد باد أهلها وخربت وبقى منها إلى يومنا هذا وهو سنة خمس وعشرين وثمانمائة نحو الأربعين مدينة ... » (٤) .

---

(١) المقريزى : الخطط ١ : ٤ .
(٢) المقريزى : الخطط (مخ . خزينة) ٢٥ ظ .
(٣) المقريزى : الخطط ١ : ٢٨٦ .
(٤) المصدر نفسه ١ : ١٨٨ .

وذكر فى آخر الكتاب خبر وفاة امرأة قدمت من دمشق ، قال « توفيت فى تاسع عشرى ذى القعدة سنة أربعين وثمانمائة »(١) .

أما آخر تاريخ ذكره فى الخطط فهو سنة ٨٤٣هـ ، قال عند ذكر جامع قيدان : « ... ثم وسع فيه الشيخ أحمد بن محمد الأنصارى العقاد الشهير بالأزرارى ، ومات فى ثانى عشر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة »(٢) . وقال فى موضع آخر : « وتجدد فى آخر سويقة أمير الجيوش بالقاهرة جامع أنشأه الفقير المعتقد محمد الغمرى وأقيمت به الجمعة فى يوم الجمعة رابع ذى الحجة سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة قبل أن يكمل »(٣) .

ولعل أمتع فصول كتاب « الخطط » للمقريزى هو ذلك الفصل الشيق الذى خصصه المقريزى لذكر بناء القاهرة ووصف قصور الخلفاء الفاطميين ومناظرهم وأماكن نزههم وما كان يصاحب ذلك من نظم ورسوم واحتفالات . فهو أهم وصف متكامل للحياة فى القصور الفاطمية ، اعتمد فيه على مصادر أصلية فقدت جميعها منذ زمن بعيد،فأضحى كتاب المقريزى بذلك هو مصدرها الوحيد تقريباً للتعرف على تطور تاريخ مدينة القاهرة فى عصر الفاطميين ، وإذا ذكرنا قاهرة الفاطميين ، فهى القصرين الفاطميين وما بينهما وما يتفرع من قصبة القاهرة أو الشارع الأعظم (بين القصرين) من شوارع وحارات تسكنها فرق وطوائف الجيش الفاطمى والموكلون بالخدمة فى القصور وأسرهم .

ويبدو لى أيضاً أن هذا القسم من الكتاب هو نفسه القسم الذى اهتم به الأوحدى بناء على ما جاء فى كتب المؤرخين ، وكان أساس كتاب المقريزى كما يتضح من المنهج الذى ارتضاه لنفسه فى مسودة الخطط ،

---

(١) المصدر نفسه ٢ : ٤٦٣ .
(٢) المصدر نفسه ٢ : ٣١٣ .
(٣) المصدر نفسه ٢ : ٣٣١ .

ثم عدل عنه فى النهاية وزاد فى كتابه زيادات كثيرة سواء قبل هذا الفصل أو بعده . فقد قسم كتابه فى صورته النهائية إلى سبعة فصول هى :

١ — جغرافية مصر ، وذكر نيلها وخراجها .
٢ — وصف بعض مدنها .
٣ — تاريخ الفسطاط وولاته .
٤ — تاريخ القاهرة مدينة المعز .
٥ — وصف القاهرة .
٦ — قلعـــة الجبل .
٧ — أسباب خراب مصر .

ولم يذكر المقريزى أى شىء عن الفصل السابع ، وربما اكتفى بما دونه فى كتابه « إغاثة الأمة بكشف الغمة » .

وقد أضاف المقريزى إلى هذا التقسيم فصولا لا علاقة لها كثيراً بموضوع كتابه ، مثل :

— تاريخ الأيوبيين والمماليك (بولاق ٢ : ٢٣٢ — ٢٤٤) .

— المذاهب الدينية فى مصر ، وفرق المتكلمين (بولاق ٢ : ٣٣١—٣٦٠)

• • •

بقى شىء واحد ، وهو أن أكثر من نصف كتاب خطط المقريزى يحدد مواضع منشآت ويذكر أحداثاً كانت بعد وفاة الأوحدى ، فما ذكرته منذ قليل لا يعنى أن المقريزى سطا تماماً على مسودة الأوحدى بل إنه طالعها واستفاد منها وعرف مصادرها فتتبعها ونقل منها ولم يجد ضرورة للإشارة إلى مسودة الأوحدى ، وهو معاصره ، طالما اطلع هو بنفسه على المصادر الرئيسية التى كتبت عن مصر والقاهرة .

ولكن دراسة تحليلية نقدية لمصادر المقريزى فى الخطط ، اعتماداً على مسودته التى وصلت إلينا ، وعلى الصورة النهائية للكتاب ، بالإضافة إلى مؤلفاته الأخرى التى تناول فيها بعض موضوعات الخطط ، كفيلة

بأن توضح لنا تسلسل التأليف التاريخى فى مصر الإسلامية ، خاصة فيما يخص العصر الفاطمى ، وهو ما أنوى أن أقوم به فى دراسة لاحقة إن شاء الله .

إن المقريزى شيخ مؤرخى مصر الإسلامية ، كان شغوفاً كل الشغف بمدينة القاهرة عاشقاً لها ، محباً لآثارها ، مجدداً لمآثرها ، يقول فى ذلك : « وكانت مصر هى مسقط رأسى ، وملعب أترابى ، ومجمع ناسى ، ومغنى عشيرتى وحاميتى ، وموطن خاصتى وعامتى ، وجؤجؤى الذى ربى جناحى فى وكره ، وعش مآربى ، فلا تهوى الأنفس غير ذكره ، لازلت مذ شذوت العلم وأتانى ربى الفطانة والفهم أرغب فى معرفة أخبارها ، وأحب الإشراف على الاغتراف من آبارها وأهوى مساءلة الركبان عن سكان ديارها ، فقيدت بخطى فى الأعوام الكثيرة وجمعت من ذلك فوائد قل ما يجمعها كتاب أو يحويها لعزتها وغرابتها إهاب ، إلا أنها ليست بمرتبة على مثال ، ولا مهذبة بطريقة ما نسج على منوال ، فأردت أن ألخص منها أنباء ما بديار مصر من الآثار الباقية عن الأمم الماضية والقرون الخالية ، وما بقى بفسطاط مصر من المعاهد غير ما كاد يفنيه البلى والقدم ، ولم يبق إلا أن يمحو رسمها الفناء والعدم ، وأذكر ما بمدينة القاهرة من آثار القصور الزاهرة ، وما اشتملت عليه من الخطط والأصقاع ، وحوته من المبانى البديعة الأوضاع مع التعريف بحال من أسس ذلك من أعيان الأماثل والتنويه بذكر الذى شادها من سراة الأعاظم والأفاضل ، وأنثر خلال ذلك نكتاً لطيفة وحكماً بديعة شريفة من غير إطالة ولا إكثار ولا إجحاف يخل بالغرض ولا اختصار ، بل وسط بين الطرفين وطريق بين بين ، فلهذا أسميته « المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار ... »(١) .

---

(١) المقريزى : الخطط ١ : ٢ — ٣ .

فكما ترى فلولا ما حفظه لنا المقريزى فى كتابه « المواعظ والاعتبار » لضاعت عنا فوائد كثيرة ومعلومات هامة عن نشأة القاهرة وتطورها وما كان فيها من منشآت وعمائر وشوارع وحارات ، فقد بلغ فن كتابة الخطط مع المقريزى قمته ومداه ، وكل من كتب بعده نقل عنه أو لخص ما قالـــه(١) .

(١) عن مؤلفى الخطط بعد المقريزى راجع مقال : Sayyid, «A.F, Remarques sur la composition des Hitat de Maqrizi d'après un manuscrit Autographe», Mélanges Serge Sauneron (IFAO. 1979), II,p. 236 -38
محمد عبد الله عثمان : مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية (القاهرة ١٩٦٩) ٦٣-٧٦ .

الأقوال القويمة

في حكم النقل من الكتب القديمة

لأبي الحسن البقاعي

تحقيق

الدكتور محمد مرسي الخولي

تمهيد

البقاعى هو إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط –بضم الراء وتخفيف الباء– ابن على بن أبى بكر البقاعى ، أبو الحسن برهان الدين ، أصله من البقاع فى لبنان ، وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة ، وكان مؤرخاً أديباً ، له كثير من المؤلفات فى فنون متعددة ، ولكن معظمها ما يزال مخطوطاً ومن بينها تفسيره الكبير المسمى «بنظم الدرر فى تناسب الآى والسور»(١) فى سبع مجلدات ، وقد امتدحه كثير من علماء عصره ، كما أن له : « عنوان الزمان فى تراجم الشيوخ والأقران » (٢) فى أربع مجلدات ، اختصره فى كتاب سماه « « عنوان العنوان » ، وله : « أشواق الأشواق » اختصر به مصارع العشاق للسراج الوراق ، « والباحة فى علمى الحساب والمساحة » ، و« بذل النصح والشفقة للتعريف بصحبة ورقة » ، « والإعلام بسن الهجرة إلى الشام » وله ديوانا شعر ، الأول قاله فى مناسبات متعددة وسماه « إشعار الواعى بأشعار البقاعى » ، والثانى فى مدح الرسول صلوات الله عليه وسماه « جواهر البحار فى نظم سيرة المختار » ، وأتمه فى رشيد من بلاد مصر فى صفر سنة ٨٤٨ هـ ، وكل هذه الكتب ما يزال مخطوطاً ، مع أن الكثير منها جدير بالتحقيق والنشر ، وقد توفى البقاعى عام ٨٨٥ هـ بدمشق ، رحمه الله .

وهذا الكتاب الصغير الذى بين أيدينا « الأقوال القويمة فى حكم النقل من الكتب القديمة » ، ألفه البقاعى بعد أن فرغ من تأليف تفسيره الكبير الذى بذل فيه جهده وأفرغ جعبته مبيناً فيه آراء المفسرين وآراءه هو التى استنبطها ليحظى الكتاب بالتقدير لدى جمهرة العلماء والمتعلمين .

---

(١) يطبع هذا الكتاب الآن فى الدار العربية فى بيروت ، كما أنه هدف الباحثين بجامعة الأزهر . فقد أخذت أجزاؤه السبعة ليعد فى كل منها بحث لنيل درجة الدكتوراه من كلية أصول الدين .

(٢) هذا الكتاب ومختصره الذى يليه أعدهما الدكتور حسن حبشى الأستاذ بكلية الآداب بجامعة عين شمس للنشر .

والواقع أن الكتاب قد حظى فعلا بما كان يريده له مؤلفه من التقدير ، غير أنه لم يقدم بالرغم من ذلك من يتصدى له من العلماء بالنقد ، وبخاصة بدر الدين بن القطان الذى تولى كبر هذه الحملة على حد قول المؤلف.

أما الحجة التى استند إليها فى التقليل من شأن الكتاب والحط منه ، فهى أن مؤلفه استشهد كثيراً بالتوراة والإنجيل والزبور ، مع أن العلماء قد أجمعوا على حرمة النقل منها كما زعم .

وهنا نرى البقاعى ينبرى لخصمه هذا ويهاجمه مهاجمة عنيفة فيذكره بأنه إذا كان مستحرجاً هكذا من النقل عن التوراة والإنجيل فلماذا كان أكثر عشرائه من النصارى والقبط ، حتى لقد شهر بأنه يشاركهم فى بعض عوائدهم ، ومن ذلك أنه رفع الماء فى ليلة يرفعونه فيها لما يرفعونه له ، فلامه بعض المسلمين ، فقال : إنه لا يضرنا التبرك بأمر قالوا إن عيسى عليه السلام فعله .

هذا إلى جانب لين عرف عنه فى الدين وعدم تمسك ببعض أحكامه ، فهو يروى عنه أن شخصاً من عشرائه حلفته زوجه ألا يشرب الخمر بأيمان منها الطلاق ، ثم بدا له فشكا إليه ذلك ، فحكم له بعدم وقوع الطلاق لأنه حلف وهو سكران ، ويعقب على ذلك البقاعى بقوله : مع أن هذا قول مرجوح بل منكر فى مذهب الشافعى .

ومن سقطاته أيضاً . أن شخصاً من المغنين ترتب على غنائه فساد غير مرة ، فمنعه السلطان منه وحلفه بأيمان منها الطلاق ونفاه ، فشفع له بعض الأكابر من عشرائه حتى رده السلطان ، ثم أرادوا عوده إلى حاله فاعتل بالأيمان ، فحكم له ابن القطان بألا شىء عليه لأنه كان مكرها . إلى آخر المسائل التى أوردها عنه .

ثم يأتى المؤلف بعد ذلك إلى القضية الجوهرية وهى قضية النقل من الكتب

القديمة ، فيذكر مناظرة وقعت بينه وبين ابن القطان بمحضر من العلامة الشيخ محيي الدين الكافيجي الحنفي (١) ، وكان أستاذاً له كما كان أستاذاً لابن القطان ، فى الوقت الذى لم يكن يرى فيه رأيه فى معارضته للبقاعى فى مسألة النقل من الكتب القديمة فيقول :

« . . . ذهبت بكرة إلى العلامة محيي الدين الكافيجي الحنفي لأريه ما كان كتبه لى عند قيام أبى العباس على كتابى وأشكره على أمر سمعته عنه وهو أنه نهاهم عن التشنيع عليه ، وأعلمهم أنهم إن فعلوا كان عليهم ، فلما اجتمعت به إذا هو أصلب القائمين معى . . . »

فبينا نحن كذلك إذ بابن القطان قد جاء وكان تلميذه ، فلما جلس عاتبته فإذا هو لين جدا ، قد ضرس مما سمع أنى نسبته إليه ، مع علمه بصدقى وثباتى فيما أقوم فيه ، وعلمه بكذبه فى كل ما نسبنى إليه غير نقلى من الكتب القديمة على وجه لا اعتراض علىَّ فيه ، ثم قلت : تنسبنى إلى كفر أول وكانوا قد شنعوا علىَّ بأنى أريد إشهار التوراة وإخفاء القرآن ، فبادر إلى الإنكار ، والحلف على أنه ما وقع منه ذلك ولا شىء منه ، فقلت أنا مستندى فى النقل من الكتب القديمة أئمة أهل الإسلام من الصحابة إلى عصرنا ، وأما هو فلا يقدر أن يأتى على قوله هذا بمستند فى كتاب من كتب الشافعية ، اذكر مستندك إلى أى كتاب استندت فلم يقدر أن يأتى ببنت شفة ... فقلت : كيف تفعل مالا سند لك فيه وتنكر على ما سندى فيه من الأئمة الصحابة ومن تبعهم من الأئمة إلى زماننا هذا ، ومن أعظمهم القاضى

---

(١) هو محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الرومى الحنفى ، محى الدين أبو عبد الله الكافيجى ، وهى نسبة إلى كافية ابن الحاجب فى النحو ، الذى كان يكثر الاشتغال به .

انتهت إليه رياسة الحنفية فى مصر ، وله تصانيف منها : معراج الطبقات والتيسير فى قواعد التفسير والإحكام بمعرفة الإيمان والأحكام وغيرها . انظر الأعلام ٢٢/٧ ، الضوء اللامع ٢٥٩/٧ .

عياض فى الشفا تكرر منه النقل من التوراة والإنجيل والزبور ، وبلغنى أنكم تقولون عنى إنه يقول : قال فى التوراة كذا ، ومن يعنى بفاعل قال ؟ تريدون أنه إن قيل لكم : الله ، قلتم : من أين علمت ذلك ، وما علمتم أنه يكفى فى مثل هذا الظن كما فى الأحاديث القدسية التى نقلت بالآحاد ، ونقل بعضها بإسناد ضعيف ، ثم يقال فيها ، قال الله كذا ، بل وسائر الأحاديث التى نقلت عن النبى صلى الله عليه وسلم كذلك، لاسيما الأحاديث الضعيفة ، بل شدد فى النقل عن النبى صلى الله عليه وسلم ورخص فى النقل عن بنى إسرائيل كما سيأتى فى الفصول عن نص الشافعى .

وجوابى عن ذلك أن فاعل (قال) مترجم الكتاب الذى أنقل منه، وعلى تقدير أن أقول: هو الله يلزمنى فيه ما يلزم القاضى عياض، فهما أجبتم عنه فهو جوابى فقال : لست كالقاضى عياض ، فقلت فحينئذ تريد تخصنى بحكم لايكون لمن فعل فعلى .

وقيل : إنكم تنكرون نقلى عن بعض الكفرة ، وقد نقل الأئمة منهم هذا النقل فى البخارى عن هرقل وابن الناطور وغيرهما، وفى السير وغيرها عن الأحبار والرهبان والكهان والشياطين ، وفى التفاسير ما لا يحصى من ذلك ، فإن كنت ممن يقبل الحق فمثل هذا الإخفاء معه ، وإلا فان شنعت على أنى أكتب من التوراة والإنجيل ، شنعت عليك بأنك تحكم بالكفر وما معه مما نقل إليك على أنى قلته عنك ، والله المستعان .

فأصلح بيننا الكافيجى وكان من أحسن ما وقع فى ذلك المجلس أن كلمه شخص من تلاميذى يدعى هو أنه تلميذه أيضاً بما لم يعجبه ، فاستشاط غضبا ، وقال : فى بعض كتب الله المنزلة : « أن الله لايغفر عقوق الأستاذين » فقال له : أذكرك بهذا : فبهت شيئاً ، ثم قال : إن صح هذا — فكان من أعجب الأمور أن شخصاً ينكر على آخر استشهاده من الكتب القديمة على صحه دين الإسلام بما يعلم أنه فيها ، ويستشهد هو منها

فى مجلس المخاصمة بما لم يره فى شىء منها . ولا علم له به فى كتاب ولا هو متمسك من عرى الصواب بوثيق من الأسباب ، بل هو منابذ لدين الإسلام فإن الله تعالى يقول : ﴿ إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ (١) وهذا يقول لايغفر بعض ما دون ذلك .

• • •

وانتهى هذا المجلس بالمصالحة بين البقاعى وابن القطان ، غير أن الخصومة بينهما لم تنقطع ، بل أخذت مظهراً آخر تمثل فى أن أصدقاء كل منهما قد انبرى للهجوم على الآخر ، فقد ألف أصحاب البقاعى كتباً امتلأت بالهزء والسخرية ، واتخذت شكل الأقاصيص حتى يتحدث بها السمار فى الحاضرة والأسفار ... الخ ، كذلك فقد أقام ابن القطان شخصا ينافح عنه سماه البقاعى (ابن البارد) ، ووصفه بأنه عامى لابصر له بعلم من العلوم ، ولامعرفه برسم من الرسوم .

على أن الأمر حين طال بينهما رأى البقاعى أن ينهيه بوضع كتاب يبحث فيه أمر النقل من الكتب القديمة بحثا موضوعيا بعيداً عن المهاترة والسخرية مع ذكر الدوافع التى أدت إلى ذلك ، فيقول :

فلما طال الأمر أجببت أن أذكر ما يشهد بحسن صنيعى فى ردى على الأخصام ، فى بطلان أديانهم ، واستشهادى على صحة دين الإسلام ، بما يعتقدونه من كتبهم ، فيكون الحجة عليهم به فى هذا الكتاب ، وكنت كتبته على وجه دون هذا فكتب عليه صاحبى العلامه نور الدين على بن محمد المحلى الشافعى (٢) حواشى نافعة مهمة ، فأجببت أن أذكرها فى هذا

---

(١) سورة النساء آية ١١٦ .

(٢) على بن محمد بن عبد الله البهرمسى ، المحلى الشافعى (نور الدين ، أبو محمد) . ولد بالبهرمس من المحلة وتوفى بها سنة ٨٤١هـ .

وله آثار منها : قلائد النحور لمهور الحور ، وديوان شعر .

انظر معجم المؤلفين ٧/٢١١ ، والضوء اللامع ٥/٣١٤ .

التصنيف معزوة إليه ، فستراها فى مواضعها إن شاء الله تعالى ، ورتبته على مقدمة وثمانية فصول وخاتمة .

المقدمة : فى بيان أن من شنع علىّ إنما تشنيعه لحظ نفسى وغرض شيطانى ، والقول فى حسن صنيعى فى الكتاب ، وما فيه من حكمة وصواب .

الفصل الأول : فى كلام مشايخ العصر فى كتابى تقريظاً وإفتاء .

الفصل الثانى : فى حكم النقل من الكتب القديمة لقصد التأييد لدين الإسلام .

الفصل الثالث : فى أدلة ذلك .

الفصل الرابع : فى شواهده ومؤيداته .

الفصل الخامس : فى كلام الأئمة على الأدلة وما يتراءى أنه يخالفها .

الفصل السادس : فى ذكر بعض من نقل منها من الأئمة وأعيان الأمة ، وذكر بعض ما نقلوه .

الفصل السابع : فى أنها هل هى مبدلة وما المبدل منها .

الفصل الثامن : فى أن حكم النقل عن بنى إسرائيل الجواز وإن لم يثبت ذلك المنقول ، وكذا مانقل عن غيرهم من الكفار ، لأن المقصود به الاستئناس بخلاف مانستدل به فى شرعنا فإنه العمدة فى الاحتجاج للدين فلابد من ثبوته .

الخاتمة : فيما يعرف بجلالة كتابى وذلك أمران : الأول : السلامة من الأمور الشنيعة التى وقع فيها غيرى من المفسرين ونزهت كتابى عنها ، الثانى :

فى ذكر شىء مما يدل على تخليه بالكمال وهو قسمان : الأول فى تفسير آيات حار فى توجيهها العلماء ل والثانى : إيراد تفسير سورة الكوثر لتدل على بقيته .

* * *

وسوف نقوم هنا بنشر الفصول من الثانى إلى الثامن لأنها جوهر الموضوع الذى نتحدث عنه هنا ، وهو حكم النقل من الكتب القديمة ، ولابد أن نشير قبل ذلك إلى ما ذكره العلامه محيي الدين الكافيجى الحنفى فى هذا الصدد فإنه ذو صلة وثيقة بموضوعنا ،وقد أورد رأيه هذا فى المقدمة التى سرد فيها المؤلف تقاريظ العلماء على مؤلفه ، وهذا هو مايقوله الكافيجى .

إن نقل شى من التوراة والإنجيل وغيرهما يجوز من التأليفات فى هذا الزمان لغرض من الأغراض المعتبرة كالاعتبار والاتعاظ ، وإن لم يجز الاستدلال بها على الأحكام والأصول ، على مانص به العلماء فى الكتب ونظير ذلك خبر المستور الذى لم يظهر قبوله ولارده ، فيجوز العمل به وإن لم يجب ، وقريب من هذا قول الحنيفيين : شريعة من قبلنا هى شريعتنا ابتداء إذا حكيت لنا بلا إنكار عليها ، قال الله تعالى : ﴿ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ﴾ (١) الآية ، والحاصل أن نقل سفر من أسفار التوراة والإنجيل وغيرهما على ما ذكرنا جائز شرعاً لاشبهة قادحة فيه ، وإن كانت متقدمة فى الأوهام ، ومعلوم عندك ألا اعتبار لها بالاجماع على مامر فى أصول الفقه ، فكيف وقد روى فى الصحيحين من عبدالله ابن عمرو رضى الله عنهما أنه قال : قال رسول الله عليه وسلم : « بلغوا عنى ولو آية ، وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج » .

---

(١) سورة المائدة ، آية ٤٥ .

وقال أهل التحقيق من المحدثين في بيان هذا الحديث : المراد منه ها هنا هو التحديث عنهم بالقصص والحكايات ،لأن في ذلك عبرة وعظة لأولي الألباب .

وأما النهي الوارد عن كتبة التوراة والإنجيل ففيما عدا القصص والأخبار فحصل الجمع والتوفيق بينهما على ما تسمع وترى .

هذا وقيل كان النهي عنها قبل اشتهار شأن القرآن حذراً من الالتباس والاشتباه ، ولأجل هذا نهي عن كتبة الحديث قبل اشتهاره ، فلما اشتهر شأنه أي اشتهار رخص فيها ، وكذا الأمر الذي نحن بصدده .

وقال البيضاوي في تفسير قول الله تعالى : ﴿ إن الله لايستحي أن يضرب مثلا ما ﴾ (١) مثل في الإنجيل غل الصدر بالنخالة ، والقلوب القاسية بالحصاة ، ومخاطبة السفهاء بإثارة الزنابير ، ومثل هذا وقع كثيراً في سائر كتب التفاسير كالكشاف للزمخشري (٢) والتفسير الكبير (٣) للإمام الرازي، وفي كتب الحديث كصحيح البخاري وغيره أيضا ، وفي كتب الكلام كالصحائف (٤) والمواقف (٥) وغيرهما ، وفي كتب أصول الفقه كالبزدوي وغيره أيضا ، يشهد بذلك كله من يطالعها ويتأمل فيها ولقد ذكر في علم التاريخ ، أن القصص والأخبار العجيبة الغريبة كقصة عوج بن عنق وغيرها

---

(١) سورة البقرة : آية ٢٦ .

(٢) في الأصل : الكشاف والزخشري ، وهي تحريف وصحتها ما أثبتنا ، إذ أن الكشاف من تأليف الإمام الزمخشري واسمه الكامل : الكشاف عن حقائق التنزيل ، وقد طبع مراراً .

(٣) اسمه مفاتيح الغيب ، وقد طبع بالقاهرة في ثماني مجلدات .

(٤) واسمه الصحائف في الكلام ، وهو للسمرقندي شمس الدين بن محمد ، كشف الظنون ١٠٧٥/٢ .

(٥) المواقف في علم الكلام ، للعلامة عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي ، وهو مشهور ، طبع مراراً .

يجوز كتابتها وحكايتها ، وإن كانت غير معلومة الحال لتضمنها عبرة وعظة ومصالح ، لقول الله تعالى ﴿لقد كان فى قصصهم عبرة الأولى الألباب﴾(١) ولما اشتهر عند الناس أن ما لايدرك كله لايترك كله ، فإن العلم بالبعض خير من الجهل بالكل ، قال الله تعالى : ﴿ وقل رب زدنى علما ﴾ (٢) ومن هنا نشأ قول من قال .

فكل إنسان سوى ما استدركوا يؤخذ من كلامه ويترك

وأمر آخر : إن نقل القصص والأخبار من التوراة وغيرها قد شاع بين الناس شيوعاً لاخفاء فيه ، فقد حل محل الإجماع السكوتى ، ولهذا وقع كثيراً فى كتب السلف بما لا إنكار عليه ، كما وقع فى هذا العصر فى هذا التأليف المسمى « بنظم الدرر من تناسب الآى والسور »على ما حررنا فى سامر .

فإن قلت : فكيف تقبل هذه الدعوى منك ها هنا ، وقد ذكر فى بعض كتب علم الكلام أن الكتب السماوية قد نسخت تلاوتها وكتابتها ، قلت : لا استبعاد هاهنا على ماذكرنا فيما قبل من التفصيل والتحرير ، فيحمل ما ذكرناها هنا على نسخ كتابة التوراة الحالية عن الدلالة عليها ، فحصل الجمع بينهما على ما ترى ، وأنت تعلم أن العمدة والمدار فى أمثال هذا إنما هو قول الفقهاء المحققين لاقول المتكلمين ، كما تقرر أن صاحب البيت أدرى بما فيه ، كما تعلم أن نسخ الوجوب لايستلزم نسج الجواز

---

(١) سورة يوسف ، الآية ١١١ .
(٢) سورة طه ، الآية ١١٤ .

كصوم عاشوراء ، فإنه جائز شرعاً وإن نسخ وجوبه ، وتعلم أيضاً أن المثبت أولى من النافى ... الخ .

هذا ما ذكره الكافيجى بصدد هذه المسألة ثم أخذ يعدد محاسن كتاب البقاعى بما هو خارج عن موضوعنا ، ولنأخذ الآن فى سرد الفصول التى سوف نوردها هنا .

الفصل الثانى

فى حكم النقل من الكتب القديمة

لتأييد دين الإسلام

وإبطال مذاهب أهل الضلال

لاشك أن سنة النبى صلى الله عليه وسلم هى أقواله وأفعاله وتقريراته وهمومه ، إذا تقرر ذلك علم أن الاستدلال على أهل الكتاب بما فى التوراة والإنجيل والزبور فى صحة دين الإسلام والرد عليهم فى اعتقاداتهم الباطلة سنة جليلة ، أمر الله تعالى بها ، فقال تعالى لأشرف خلقه صلى الله عليه وسلم ﴿ قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ﴾ (١) وفعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم امتثالا لهذا الأمر الشريف ، فأتاهم فى بيت مدراسهم(٢) وسألهم عن شريعة الرجم للزانى ، فأنكروا أن يكون فى توراتهم فأمرهم بالإتيان بها فأتوابها ، فنزع وسادة كانت تحته ووضعها عليها ، وقال : « آمنت بك وبمن أنزلك » ، مع أنه يعلم أن فيها المبدل إذ ذاك ، لشهادة الله سبحانه فى غير آية مما أنزل عليه أنهم حرفوا وكتبوا بأيديهم ما ليس من عند الله ، وقالوا إنه من عند الله ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إيتونى بأعلمكم » فأتوه به فأمره بقراءتها ، فشرع يقرأ ماقبل آية الرجم وما بعدها ، فأمره عبدالله بن سلام (٣) رضى الله عنه برفع يده

---

(١) سورة آل عمران الآية ٩٣ .

(٢) المدراس بيت الدروس الذين يتلون فيه كتبهم .

(٣) هو عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلى ، أبو يوسف ، صحابى ، قيل إنه من نسل يوسف بن يعقوب .

أسلم عند قدوم النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان اسمه الحصين فسماه رسول الله عبد الله ، وقد نزلت فيه الآية : « وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله » ، والآية : « ومن عنده علم الكتاب » وشهد مع عمر فتح بيت المقدس والجابية توفى بالمدينة سنة ٤٣ هـ .

انظر تهذيب التهذيب ٥ / ٢٤٩ ، صفة الصفوة ١ / ٣٠١ . الأعلام ٤ / ٢٢٣

فإذا آية الرجم فحينئذ لم يسعهم إلا الاعتراف فافتضحوا حينئذ ، وعلم ماهم عليه من الضلال علماً جليا لكل واحد ، وعلم من هذا أن الأحسن فى باب النظر أن يرد على الإنسان بما يعتقد صحته وأما من كان يتكلم بهواه فليس له دواء إلا بالعلم ، إذا أن من المقرر عند حملة الشريعة من أهل الفقه والأصول أنه إنما يسوغ الرد على المخالف بالمتفق عليه مما يكون مكترثا له ، أو يقوم الدليل العقلى عليه ، إن كان ثم قدره أو السكوت فإنهم ممن حذر منهم السلف ، قاله الشيخ محيي الدين النووى فى آخر باب فى فضيلة الاشتغال بالعلم من مقدمة شرح المهذب ، وقال البخارى فى أول كتاب الفرائض من صحيحه قال عقبة بن عامر رضى الله عنه : « تعلموا قبل الظانين » ، يعنى الذين يتكلمون بالظن ، ومعناه : تعلموا العلم من أهله المحققين الورعين قبل ذهابهم و مجيء قوم يتكلمون فى العلم بميل نفوسهم وظنونهم التى ليس لها مستند شرعى ، ولأجل ذلك أرشد شيخه إليه ، فإنه لو استدل عليهم بكتابنا ، ما افتضحوا عند غير المسلمين مثل هذه الفضيحة العامة عند كل ذى عقل ، واقتدى بالنبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك الصحابة رضى الله عنهم ، لاعتقادهم أن ذلك سنة فإحتجوا عليهم بكتابهم فيما يؤيد ديننا ويبين ضلالهم ، واقتدى بهم فى ذلك التابعون لهم بإحسان إلى عصرنا ، وسيأتى كلام للإمام أبى هاشم محمد بن جعفر فى الفصل السادس بمثل دليل الإسلام عند من له أدنى ممارسة .

الفصل الثالث

فى الدلائل الدالة على أن النقل من الكتب القديمة

لذلك المقصد سنة عظيمة ، وطريقة مستقيمة

ولا أشك فى أنه ليس أحد من أهل الزمان يرى ذلك الابادر إلى إنكاره والاستهانة به واستصغاره لكونه لم ير لى سلفا فى التصريح به من أئمة الإسلام ، وإن كان مأخوذا من كلامهم ، وإنكاره ما لم ينظر أوله وآخره ، ويعرف مخالفته للكتاب والسنة وأقوال الأئمة ، غش للدين وأهله ، وظلم عظيم لقائله ، يتعلق لأجله بمن ظلمه يوم الجمع الأعظم ، ليلقى أحدهما صاحبه فى نار جهنم ، بل الواجب على كل من وهبه الله علما ورآه ، أن ينعم التأمل فيه وفى أدلته ، فإن رآه قويماً وجه علية اتباعه ، وعده فخراً لصاحبه ، عملا بما أرشد إليه ما قال النووى فى ترجمة الإمام الشافعى من تهذيب الأسماء واللغات ، قال محمد ، يعنى ابن عبد الحكم : ليس فلان عندنا بفقيه لأنه يجمع أقوال الناس ويختار بعضها ، قيل : فمن الفقيه؟ قال : الذى يستنبط أصلا من كتاب أو سنة لم يسبق إليه ، ثم يشعب من ذلك الأصل مائة شعبة ، قيل : فمن يقوى على هذا ؟ قال : محمد بن إدريس .

إذا تقرر هذا ، فالدليل على ما ادعيته الكتاب والسنة وأقوال الأئمة ، قال الله تعالى : ﴿ قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ﴾ .

وقال الشيخان البخارى فى مواضع ، ومسلم ، وأبو داود وهذا لفظه ، والدارمى ، والترمذى فى الحدود ، والنسائى فى الرجم ، عن ابن عمر رضى الله عنهما ، أنه قال : إن اليهود جاءوا إلى النبى صلى الله عليه وسلم : فذكروا أن رجلا منهم وامرأة زنيا ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تجدون فى التوراة فى شأن الزنا ؟ فقالوا : نفضحهم ويجلدون ، وفى رواية فقال : ألا تجدون فى التوراة الرجم ؟ فقالوا لا نجد فيها شيئاً ، فقال ،

عبد الله بن سلام رضى الله عنه : كذبتم ، فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ، فأتوا بالتوراة فنشروها فجعل أحدهم — وفى رواية مدراسها الذى يدرسها منهم يده على آية الرجم ، فجعل يقرأ ما قبلها ومابعدها ، فقال له عبد الله بن سلام : ارفع يدك ، فرفعها ، فقال : هذه ؟ فإذا فيها آيه الرجم ، فقالوا : صدق يا محمد فيها آية الرجم ، فأمر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجما .

قال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : فرأيت الرجل يجنأ (١) على المرأة يقيها الحجارة ، وفى لفظ للبخارى فى التفسير : أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : لاتجدون فى التوراة الرجم ، فقالوا : لانجد فيها شيئاً ، فقال لهم عبد الله بن سلام : كذبتم فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين.

ولأبى داود عن ابن عمر ايضاً رضى الله عنهما ، قال : أتى نفر من اليهود فدعوا رسول الله صلى الله وسلم إلى القف فأتاهم فى بيت المدراس ، فقالوا : يا أبا القاسم ! « إن رجلا منا زنى بامرأة فاحكم ، فوضعوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسادة فجلس عليها ، ثم قال : ائتونى بالتوراة ، فأتى بالتوراة بها فنزع الوسادة من تحته ووضع التوراة عليها ، ثم قال : آمنت بك وبمن أنزلك ، ثم قال : ائتونى بأعلمكم ، فأتى بفتى شاب فذكر قصة الرجم بنحو الذى قبله» ، رواه أبو داود والحافظ المنذرى فى مختصر السنن وسنده حسن ، وسيأتى فى الفصل السابع تتمة لهذا نافعة.

ولمسلم وأبى داود ، وهذا لفظه ، والنسائى وابن ماجة ، عن البراء بن عازب رضى الله عنهما ، قال : « مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بيهودى محمم (٣) ، فدعاهم فقال : هكذا تجدون حد الزانى ، فقالوا :

---

(١) يجنأ : يميل عليها ويقيها .

(٢) القف ما ارتفع من متون الأرض وصلبت حجارته.

(٣) محمم أى مسود الوجه ، من الحممة الفحمة .

نعم ، فدعا رجلا من علمائهم ، فقال : نشدتك بالله الذى أنزل التوراة على موسى ، أهكذا تجدون حد الزانى فى كتابكم ، فقال : اللهم لا ، ولو أنك نشدتنى بهذا لم أخبرك ، نجد حد الزانى فى كتابنا الرجم ، ولكنه كثر فى أشرافنا فكنا إذا أخذنا الرجل الشريف تركناه وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد ، فقلنا : تعالوا ، فنجتمع على شىء نقيمه على الشريف والوضيع ، فاجتمعنا على التحميم والجلد ، وتركنا الرجم ، فقال رسول الله صلى الله وسلم : « اللهم إنى أول من أحيا أمرك إذ أماتوه ، فأمر به فرجم ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ يا أيها الرسول لايحزنك الذين يسارعون فى الكفر ﴾ (١) إلى قوله ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾(٢) فى اليهود أيضاً إلى قوله ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾ (٣) فى اليهود أيضا إلى قوله : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ﴾ (٤) قال هى فى الكفار كلها ؟ يعنى هذه الآية .

وروى الواحدى فى أسباب النزول(٥) ، عن عمر رضى الله عنه ، قال ، كنت آتى اليهود عند دراستهم التوراة ، فأعجب من موافقه القرآن التوراه وموافقه التوراة القرآن ، فقالوا ، ياعمر ، ما أحد أحب إلينا منك

---

(١) سورة المائدة الآية ٤١ .

(٢) سورة المائدة الآية ٤٤ .

(٣) سورة المائدة الآية ٤٥ .

(٤) سورة المائدة الآية ٤٧ .

(٥) أسباب النزول : علم يعرف به سبب نزول سورة أو آية ووقتها ومكانها وغير ذلك ، ومبادئه مقدمات مشهورة ، منقولة عن السلف ، ومن فوائده : فهم معانى القرآن واستنباط الأحكام ، إذ ربما لا يعرف تفسير الآية بدون الوقوف على سبب نزولها مثل قوله تعالى : « أينما تولوا فثم وجه الله » وهو يقتضى عدم وجوب استقبال القبلة وهو خلاف الإجماع ، ولا يعلم ذلك إلا بأن نزولها كان بالنسبة لنافلة السفر ومن صلى بالتحرى ، ولا يحل القول إلا بالرواية والسماع عن شاهد التنزيل .

ومن ألف فيه الشيخ الإمام أبى الحسن على بن أحمد الواحدى المتوفى سنة ٤٦٨ هـ وهو أشهر من صنف فيه .

انظر كشف الظنون ٧٦ .

قلت ، ولم ؟ قالوا : لأنك تأتينا وتغشانا ، قلت : إنما أجيء لأعجب من تصديق كتاب الله بعضه بعضاً ، وموافقة التوراة القرآن وموافقة القرآن التوراة ، فبينا أنا عندهم ذات يوم إذ مر رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف ظهرى ، فقالوا : إن هذا لصاحبك فقم إليه ، فالتفت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دخل خوخة (١) من المدينة ، فأقبلت عليهم فقلت : أنشدكم الله وما أنزل عليكم من كتاب أتعلمون أنه رسول الله ، قال سيدهم : قد نشدكم بالله فأخبروه ، فقالوا أنت سيدنا فأخبره ، فقال سيدهم : نعلم أنه رسول الله ، قلت : فإنى أهلككم إن كنتم تعلمون أنه رسول الله ثم لم تتبعوه ؟ فقالوا : إن لنا عدوا من الملائكة وسلماً من الملائكة ، فقلت : من عدوكم ومن سلمكم ؟ قالوا عدونا جبريل ، قلت : ومن سلمكم : قالوا : ميكائيل . قلت : فإنى أشهد ما يحل لجبريل ، أن يعادى سلم ميكائيل وما يحل لميكائيل أن يسالم عدو جبريل وأنهما جميعاً ومن معهما أعداء لمن عادوا وسلم لمن سالموا ، ثم قمنا فاستقبلنى يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا ابن الخطاب ! ألا أقرئك آيات فقرأ : ﴿ من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك ﴾ ... حتى بلغ : ﴿ وما يكفر بها إلا الفاسقون ﴾ (٢) ، قلت : والذى بعثك بالحق ما جئت إلا لأخبرك بقول اليهود فإذا اللطيف الخبير قد سبقنى بالخبر ، فقال عمر رضى الله عنه : فلقد رأيتنى فى دين الله أشد من حجر .

وروى هذا الحديث أيضاً إسحاق بن راهويه فى مسنده عن الشعبى ، عن عمر رضى الله عنه ، قال شيخنا الشهاب البوصيرى . وهو مرسل صحيح الإسناد ، وكذا من الأدلة الظاهرة أيضاً حديث عبد الله بن عمرو رضى الله عنه فى الصحيح : « حدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج » .

وروى أبو بكر بن أبى شيبة عن الفلتان بن عاصم الحربى ، قال : كنا

(١) الخوخة : هى مخترق مابين كل دارين لم ينصب عليها باب بلغة أهل الحجاز .
(٢) سورة البقرة ، الآية ٩٨ ، ٩٩ .

قعوداً عند النبي صلى الله عليه وسلم فشخص بصره إلى رجل فى المسجد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتشهد أنى رسول الله ؟ قال : لا ، قال : أتقرأ التوراة ؟ قال : نعم ، قال : والإنجيل؟ قال : نعم ، قال : القرآن ؟ قال : والذى نفسى بيده لو أشاء لقرأته ، قال : ثم ناشده : هل تجدنى نبياً فى التوراة والانجيل الحديث .

وفى السيرة : فى أحوال ما بعد الهجرة ، قال ابن إسحاق : وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يهود خيبر ، فيما حدثنى مولى لآل زيد ابن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضى الله عنهما .

بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله صاحب موسى وأخيه والمصدق لما جاء به موسى ، ألا إن الله قد قال لكم : يامعشر أهل التوراة إنكم تجدون ذلك فى كتابكم . ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضواناً ، سيماهم فى وجوهم من أثر السجود ، ذلك مثلهم فى التوراة ﴾ (١) إلى آخر السورة .

وفى أصل سيرة ابن إسحاق ، حدثنى حسين بن عبد الله بن عبيد الله ابن عباس ، عن عكرمة ، عن ابن عباس رضى الله عنها ، قال : كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يهود : «من محمد رسول الله أخى موسى وصاحبه ، بعثه الله عز وجل بما بعثه به ، إنى نشدتكم بالله وما أنزل الله على موسى يوم طورسيناء ، وفلق لكم البحر فأنجاكم وأهلك عدوكم وأطعمكم المن والسلوى ، وظلل عليكم الغمام هل تجدون فى كتابكم أنى رسول الله إليكم وإلى الناس كافة ، فإن كان ذلك كذلك ، فاتقوا الله وأسلموا ، وإن لم يكن عندكم فلا تباعة عليكم .

---

(١) سورة الفتح ، الآية ٢٩ .

وفى تفسير البغوى لقوله تعالى : ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾(١) قال سعيد بن جبير : جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له صلى الله عليه وسلم : أنشدك الله الذى أنزل التوراة على موسى : أما تجد فى التوراة أن الله يبغض الحبر السمين ، وكان حبراً سميناً ، فغضب وقال : والله ماأنزل الله على بشر من شىء .

وفى القصة أن مالك من الصيف لما سمعت اليهود منه تلك المقالة عتبوا عليه ، وقالوا : أليس الله أنزل التوراة على موسى ؟ فلم قلت : ما أنزل الله على بشر من شىء ؟ فقال مالك بن الصيف : محمد [أغضبنى] فقلت ذلك ، فقالوا له : وأنت إذا غضبت تقول على الله غير الحق ؟! فنزعوه من الحبرية وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف .

وفى تلخيص ابن هشام للسيرة فى قصة إسلام عبد الله بن سلام رضى الله عنه المخرجة فى التصحيح ، أنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم أن يخفيه فى بيت ويسأل يهود عنه قبل أن يعلموا بإسلامه ، فلما سألهم ومدحوه خرج عليهم ، فقال لهم : يامعشر يهود ! اتقوا الله واقبلوا ماجاءكم به ، فو الله إنكم لتعلمون أنه لرسول الله ، تجدونه مكتوباً عندكم فى التوراة باسمه وصفته .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم غنيا عن الاستشهاد بهم وبكتابهم ، بماله من المعجزات الباهرات التى أوجبت الإيمان به على كل أحد ولم تدع لأحد عذراً لولا شرع مثل ذلك والتنبيه على عظيم جدواه لأنه أقطع فى رد الخصوم ، وقد تضمن هذا الفصل من الدليل على حسن صنيعى فى تأييد الإسلام والرد على الأخصام من كتبهم ، قول الله والحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكيف يعدل عنه أحد ، لاسيما إذا

---

(١) سورة الزمر ، الآية ٦٧ .

انتمى إلى الشافعي ، ومن المعلوم أن الشافعي رحمه الله قال : إذا صح الحديث فهو مذهبي ، وتنوعت عباراته في ذلك منه هذا إذا خالف مذهبه فكيف إذا وافق المنقول عنه وعن أصحابه وعمل العلماء من أئمة مذهبه وغيرهم قديما وحديثا كما هو مشاهد لا يستطاع مكابرته ، وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى ، والله الموفق .

الفصل الرابع

فى الشواهد الحسن الاستدلال بها

والمؤيدات الدالّة على أن ذلك يَسُرُ النبى صلى الله عليه وسلم ، ومَنْ حَال دُون ما يسرُّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم كان مُنَابِذًا له مارقًا من دينه ، عدواً لأهل شرعه صلى الله عليه وسلم .

روى أحمد فى المسند ، ومسلم فى الصحيح ، وأبو داود فى السنن ، والترمذى فى الجامع ، وابن ماجة فى السنن ، والطبرانى فى المعجم ، وأبو عمرو الدانى فى كتاب الفتن ، عن فاطمة بنت قيس وكانت من المهاجرات الأُول رضى الله عنها ، وأبو داود وأبو يعلى عن جابر رضى الله عنه ، دخل حديث أحدهما فى الآخر ، قالت فاطمة رضى الله عنها : سمعتُ نِدَاءَ مُنادِى رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى الصلاة جامعة ، فخرجت إلى المسجد فى نسوة من الأنصار فصلّى بنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الظهر ، فصليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنتُ فى النساء اللاتى تلى ، وفى رواية : يَلِينَ ظُهُور القوم ، وفى رواية : فكنت فى الصف المقدم من النساء وهو يَلِى المُؤَخَّرَ من الرجال ، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته صعد المنبر ، وكان لا يصعد عليه إلا يوم الجمعة ، فاشتد ذلك على الناس فمن بين قائِم وجالس ، فأشار إليهم بيده أن اقعدوا فإنى والله ما قمتُ مقامى لأمر ينقصكم لرغبة ولا لرهبة ، وفى رواية جلس على المنبر وهو يضحك ، فقال : ليلزم كل إنسان مُصَلَّاه ، ثم قال : أتدرون لِمَ جمَعْتُكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : إنى والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة

ولكن جمعتكم لأن تميمًا الدَّارِى(١)وكان رجلاً نصرانيًا فجاء فبايع وأسلم، وحدثنى حديثًا وافق الذى كنت أحدثكم عن مَسِيح ، وفى رواية المسيح الدَّجَّال .

وفى رواية أحمد ' قالت : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما من الأيام فصلّى صلاة الهاجرة ، ثم قعد على المنبر ففزع الناس ، فقال : اجلسوا أيها الناس ، فإنى لم أقم مقامى هذا لِفَزَعٍ ، وفى رواية له : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم مسرعًا فصعد المنبر ونودى فى الناس الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس ، فقال : يا أيها الناس إنى لم أدعكم لرغبة نزلت ولا لرهبة ، ولكن تميمًا أخبرنى خبرًا منعنى القيلولة من الفَرَحِ وقُرَّةِ العين ، فأحببتُ أن أنْشُرَ عليكم فَرَح نبيِّكم ، وفى رواية جابر رضى الله عنه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على المنبر ، فقال : يأيها الناس إنى لم أقم فيكم بخبر جاءنى من السماء ولكن بلغنى خبرٌ ففرحتُ به ، فأحببت أن تفرحوا بفرح نبيِّكم ، صلى الله عليه وسلم ، أنه بينا رَكْبٌ ، وفى رواية بينما أناسٌ يسيرون فى البحر فنفِدَ طعامُهم فرُفعتْ لهم جزيرة ، فخرجوا يريدون الخير فلقيتْهم الجَسّاسة فذكر الحديث فى أمر الدَّجَّال .

وفى رواية أحمد : قال عامر يعنى الشَّعْبى : فلقيت المحرر بن أبى هريرة فحدثته بحديث فاطمة بنت قيس ، فقال : أشهدُ عَلَىَ أبى رضى

---

(١) هو تميم بن أوس بن خـارجة الدارى ، أبو رقية ، صحابى ، نسبته إلى الدار بن هانئ من لخم ، كان راهب أهل عصره وعابد أهل فلسطين ، اسلم سنة ٩ هـ ، وأقطعه النبى صلى الله عليه وسلم قرية حبرون (الخليل) بفلسطين ، توفى سنة ٤٠ هـ .انظر صفة الصفوة ١/ ٣١٠ .

الله عنه أنه حدثنى كما حدّثتك فاطمة رضى الله عنها ، قال : ثم لقيت القاسم بن محمد ، فذكرت له حديث فاطمة ، فقال : أشهد على عائشة رضى الله عنها ، أنها حدثتنى كما حدثتك فاطمة ، وفى آخر الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ألاهل كنت حدثتكم ذلك ، فقال الناس : نعم ، قال : فإنه أعجبنى حديثُ تميم أنه وافق الذى كنت أحدثكم عنه ، وعن المدينة ومكة .

وروى الشيخان عن أبى سعيد رضى الله عنه : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « تكون الأرض يوم القيامة خُبْزة نزلاء لأهل الجنة » فأتى رجل من اليهود ، فقال : بارك الرحمن عليك يـأبا القاسم ، ألا أخبرك بنُزُلِ أهل الجنة يوم القيامة ؟ قال : بلى ، قال : تكون الأرض خبُزَة ، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم فنظر النبى صلى الله عليه وسلم إلينا ثم ضحك حتى بدت نواجذه .

ومن المشهور قصة سلمان (١) رضى الله عنه فى سبب إسلامه بـأخبار الرهبان من النصارى بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وفى آخرها فأحب النبى صلى الله عليه وسلم أن يسمع ذلك أصحابه ، رواها ابن إسحاق فى السيرة ، وأبو بكر بن أبى شيبة ، والحارث بن أبى أسامة ، عن سلمان رضى الله عنه . وروى ابن إسحاق قبل ذكر المعجزات عن أبى سعيد رضى الله عنه ، أنه قال : بينا رجل من أسلم (٢) فى غُنَيْمةٍ له إذ عدا عليه الذئب فذكر قول الذئب لما تعجّب من كلامه :

(١) أى الفارسى ، وانظر خبر إسلامه فى أعلام النبوة لأبى نعيم ٨٧ ، وسيرة ابن هشام ١/٢

(٢) اسمه أهبان بن أوس ؛ وانظر الخبر أيضا فى « ثمار القلوب » عند قولهم : مكلم الذئب ، والحيوان ١/٢٩٨ .

أَعَجَبُ من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحرّتين ، وأنت ههنا تتبع غنمك فأتى فأسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحضر العشية فإذا رأيت الناس قد اجتمعوا فأَخْبِرْهم ، وأصله فى الصحيحين فى ثلاث ورقات .

ورواه ابن حِبّان فى صحيحه والبغوى فى شرح السنة ، عن أبى سعيد وأبى هريرة رضى الله عنهما .

ورواه مسدد عن أبى هريرة رضى الله عنه ، ولفظه : إذا صَلّيْت الصبح مَعَنا غدًا فأخبر الناس بما رأيت ، ورواه أحمد بن منيع ، وعبد بن حميد ، وأبو يعلى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ، قال ابن منيع : فأقبل الراعى بغنمه حتى دخل المدينة ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد ، وأمر فنودى : الصلاة جامعة ، فلما اجتمع الناس قال للأعرابى : أخبرهم بما رأيت ، فأَخْبَرهم .

فقد عُلم من هذا لكلِّ ذى لُبٍّ أنه يَسُرُّ النبى صلى الله عليه وسلم ذكر ما يُصدِّق كلامه من قول بنى آدم ، على اختلاف أصنافهم ، ومن كلام الوحوش وغيرهم ، ولا شك أن ما كان يُظن أنه من كلام الله كان أجدر بذلك ، وأن من منع من شىء كان مخالفًا لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ﴿ فليَحْذَرِ الَّذِين يُخَالِفُون عن أمره أن تُصِيبَهُم فتنةٌ أو يصيبَهم عذابٌ أليم ﴾ (١)

---

(١) سورة النور ، الآية ٦٣ .

الفصل الخامس

فى كلام الائمة على الادلة وما يتراءى أنه يخالفها

قال الإمام شمس الدين الكرمانى فى شرحه للبخارى ، فى أوائل تفسير سورة البقرة ، فى حديث « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم » هذا الحديث أصل فى جواز التوقف عما يشكل من الأمور ، فلا يقضى عليه بصحة أو بطلان ، ولا بتحليل أو تحريم ، وقد أمرنا أن نؤمن بالكتب المنزلة على الأنبياء ، إلا أنه لا سبيل لنا إلى أن نعلم صحيح ما يحكونه عن تلك الكتب من سقيمه ، فيتوقف فلا نصدقهم لئلا نكون شركاء معهم فيما حرّفوه منه ، ولا نكذبهم فلعله يكون صحيحًا فنكون منكرين لما أمِرْنا أن نؤمن به ، وعلى هذا كان توقف السلف عن بعض ما أشكل عليهم وتعليقهم القول فيه كما سئل عثمان رضى الله عنه عن الجمع بين الأختين فى مِلْك اليمين ، فقال : أحلتهما آية وحرمتهما آية ، وكما سئل ابن عمر رضى الله عنهما عن رجل نذر أن يصوم كل اثنين فوافق ذلك اليوم عيد ، فقال أمر الله بالوفاء بالنذر ونهى النبى صلى الله عليه وسلم عن صيام يوم العيد ، فهذا مذهب من سلك طريق الورع ، وإن كان غيرهم قد اجتهدوا واعتبروا الأصل ورجحوا أصل أحد المذهبين على الآخر ، وكل ما ينويه من الخير وتنويه من الصلاح مشكورٌ . انتهى .

وهو واضح جدًا فى أن التوقف إنما هو فيما يُشْكِل وأما غيره مما عرفنا صدقه أو كذبه بشهادة كِتَابنا فلا ، كما يأتى عن ابن بطال ، ثم عن نص الشافعى .

قال الشيخ نور الدين وقوله : ورجعوا إلى آخره موضع تأمل وبعده لا نحتاج فى ردّ كلام من ادعى الإجماع إلى شىء ، وقال الإمام بدر الدين الزركشى فى أول كتاب الوصية فى شرحه للمنهاج ، وفى البحر والحاوى : قبيل الصيد أنه لو أوصى بكتب شريعة موسى وعيسى عليهما السلام فإن أراد كتب سيرهم وقصصهم الموثوق بصحتها جاز لأن الله تعالى قصها علينا فى كتاب ، وإن أراد للأحكام لم يجز كالتوارة والإنجيل انتهى ، يحمل قولهم فى التوراة والإنجيل على كتابة أحكامه للعمل بها لا للاعتبار بما فيها من الإصر مثلا لنشكر الله على تخفيفه عنا ، وعلى كل حال قد جعل الفيصل فى معرفة الصحيح من غيره كتابنا .

وقال شيخنا حافظ عصره أبو الفضل بن حجر فى شرحه فى باب قول النبى صلى الله عليه وسلم ، « لا تسألوا أهل الكتاب عن شىء » هذه الترجمة لفظ حديث أخرجه أحمد وابن أبى شيبة والبزاز ، من حديث جابر ، أن عمر رضى الله عنهما أتى النبى صلى الله عليه وسلم بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه عليه فغضب ، وقال : « لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، لا تسألوهم عن شىء ليخبروكم بحق لتكذبوا به ، أو بباطل فتصدّقوا به ، والذى نفسى بيده لو أن موسى كان حيًّا ما وسعه إلا أن يتبعنى » ورجاله موثقون إلا أن فى مجالد ضعفًا ، وأخرج البزاز أيضا من طريق عبد الله بن ثابت الأنصارى ، أن عمر رضى الله عنه نسخ صحيفة من التوراة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تسألوا أهل الكتاب عن شىء » ، وفى سنده جابر الجعفى وهو ضعيف ، واستعمله فى الترجمة لورود ما يشهد بصحته من الحديث الصحيح ، وأخرج عبد الرازق من طريق حريث بن ظهير ، قال : قال عبد الله :

لا تسألوا أهل الكتاب فإنهم لن يهدوكم ، وقد أضلوا أنفسهم فتكذبوا بحق أو تصدقوا بباطل » وأخرجه سفيان الثورى من هذا الوجه ، بلفظ « لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضَلُّوا ، أن تكذبوا بحق أو تصدقوا بباطل » وسنده حسن .

قال ابن بطال عن المهلب : هذا النهى إنما هو فى سؤالهم عما لا نصّ فيه ، لأن شرعنا مكتف بنفسه فإذا لم يوجد فيه نص ففى النظر والاستـــدلال غنًى عن سؤالهم ، ولا يدخـــل فى النهى سؤالهم عن الأخبار المصدِّقة لشرعنا ، والإخبار عن الأمم السالفة ، وقوله عن معاوية رضى الله عنه أنه ذكر كعب الأحبار ، فقال : إنه كان من أصدق هؤلاء المحدِّثين الذين يحدثون عن الكتاب ، وإن كنا مع ذلك لنبلوا عليه الكذب ، قوله عن الكتاب أى القديم فيشمل التوراةوالصحف ، وقوله لنبلوا أى نختبر ، وقوله عليه الكذب أى يقع بعض ما يخبرنا عنه بخلاف ما يخبرنا به .

قال ابن التيِّن ؛ وهذا نحو قول ابن عباس فى حق كعب المذكور بدّل من قبله فوقع فى الكذب ، قال : والمراد بالمحدثين نظار كعب ممن كان من أهل الكتاب وأسلم ، فكان يحدِّث عنهم ، وكذا من نظر فى كتبهم فحدث عما فيها ، قال الشيخ نور الدين ، تأمل هذا الكلام ، فإن فيه تصريحًا بأن كعب الأحبار قد وقع له التحديث بالمبدّل ، وعذره ما قال ابن عباس رضى الله عنهما ، ومع ذلك فلم تزل الصحابة رضى الله عنهم يطلبون منه أن يحدثهم ، مع ما ظهر لهم مما هو مذكور هنا . هذا على أن شيخنا حفظه الله تعالى قد وقعت له موافقة ذلك فإن شخصًا من حُذَّاقهم ، وهو صهر لبعض المشنِّعين أسْلم

وهو يحفظ التوراة إلى الآن ، وله خبرة زعم بالمبدل من غيره ، فهو يميز ذلك من ذلك ، مع أن فى تصديق كتاب الله وتكذيبه لما ينقل عنهم غنى عن ذلك ، فإنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه انتهى .

قال ابن التين : ولعلهم كانوا مثل كعب إلا أن كعبًا كان أشد منهم بصيرة وأعرف بما يتوقاه منه ، وحديث أبى هريرة يعنى فى الصحيح : « كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا آمنا بالله وما أنزل . . . إلخ » ، كما تقدم فى تفسير سورة البقرة ، وقال شيخنا هناك : لاَ تصَدِّقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، أى إذا كان ما يخبرونكم به محتملا لأن لا يكون فى نفس الأمر صدقًا فتكذبوه أو كذبًا فتصدقوه فتقعوا فى الحرج ، ولم يرد النهى عن تكذيبهم فيما ورد شرعنا بخلافه ، ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعنا بوفاقه ، نبه على ذلك الشافعى رحمه الله ، ويؤخذ من هذا الحديث التوقف عن الخوض فى المشكلات والجزم فيها بما وقع فى الظن ، وعلى هذا يُحْملُ ما جاء عن السلف من ذلك ، قال الشيخ نور الدين : وما نبه عليه إمامنا الشافعى رحمه الله دالٌّ على أنه يجوز نقل المبدل لرده ، فضلا عن نقل غيره للإلزام به ، أو بيان ما انغلق عليهم منه ، أو الاستشهاد لغيٍّ بحكاية عنه ، ومن المعلوم أن شيخنا مقلد لإمامه غير ملتفت لمن شذّ عنه ، مما لا يصح بوجه مع كونه قادحًا فى الأئمة الأعلام ، ثم ساق ما يأتى فى الفصل الثامن نقله عن نص الشافعى من شرح ألفية العراقى ، وقال : ويشهد بذلك من له أدنى مطالعة فى علم الحديث مع قدرة على فهم ، إذا تقرر ذلك

علم أن من عارض قول إمامنا أنه لا بأس بالتحديث بقوله : أن ثم بأسًا غير منظور إليه ولا معلوم به ، فضلاً عن أن يُلتفت إليه أو يشتغل به . انتهى .

وقال شيخنا فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه : هذا فى كتاب الشهادات ، الغرض منه هنا النهى عن تصديق أهل الكتاب فيما لا يعرف صِدْقُه من قبل غيرهم ، انتهى .

رجعٌ إلى هذا الباب ، وقوله : لا تصدِّقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم لا يعارض حديث الترجمة ، أى وهى لا تسألوا أهل الكتاب عن شىء فإنه نهىٌ عن السؤال ، وهذا نهى عن التصديق والتكذيب ، فيُحمل الثانى على ما إذا بدأهم أهل الكتاب بالخبر ، وقد تقدم توجيه النهى عن التصديق والتكذيب فى سورة البقرة ، يشير إلى ما تقدم أن الشافعى نبّه عليه ، قال : وأثر عن ابن العَبّاس رضى الله عنهما : « كيف تسألون أهل الكتاب عن شىء تقدم شرحه فى كتاب الشهادات ، قال : هناك أهل الكتاب أى من اليهود والنصارى وكتابكم أى القرآن أحدث الأخبار بالله ، أى أقربها نزولاً من عند الله فالحديث بالنسبة إلى المُنزل إليهم وهو فى نفسه قديم ، ولم يُشَبْ بضم أوله وفتح المعجمة أى يُخلط ، ووقع عند أحمد من حديث جابر رضى الله عنه مرفوعًا : لا تسألوا أهل الكتاب عن شىء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا .

وقال فى باب ما يجوز من تفسير التوراة وكتب الله : والحاصل أن الذى بالعربية مثلا يجوز التعبير عنه بالعبرانية وبالعكس انتهى .

وفى القرآن ما لا يحصي من ترجمة أقوال من تقدم من الأنبياء

عليهم السلام ، وغيرهم من الصالحين والطالحين بالكلام المعجز ، وفيه نسبة الأقوال إليهم ومن المعلوم قطعًا أن عبارة كل منهم ما كانت إلا بلسانه انتهى .

هذا ما نقله الأئمة عن الشافعي وغيره من شرح ما لعله يخالف ما سُقْته من الأدلة على سُنِّية النقل لما يؤيد شرعنا ، أو يكون فيه عبرة وعظة ، ولا يخالف الشريعة ورده إليه ، وقد علم منه أن ما رده كتابنا جاز رَدّه بل حُتِم ، وما قبله جاز قبوله بل لزم ، وأمّا ما قاله الشافعية فى كتب الفقه تبعًا لإمامهم : فمن ظن أنه مخالف لذلك فداؤه عَيَاء ، ومرضه لا ينفع فيه الدواء ، ولا يقع ذلك إلا لمن لم ترسخ قدمه فى الفقه ، ولا أحكمه التحنيك بملازمة المشايخ ، قال الإمام أبو القاسم الرافعي فى شرحه : وكتب التوراة والإنجيل مما لا يحل الانتفاع به لأنهم بدّلوا وغيروا ، وكذا قال غيره من الأصحاب ، وهو مخصوص بما علم تبديله بدليل أن كل من قال ذلك علل بالتبديل ، فدار الحكم معه ، ونَصُّ الشافعي ظاهر فى ذلك ، قال المزنى عنه فى مختصره فى جامع السير : وما كان من كتبهم أى الكُفار فيه طِبٌّ وما لا مكروه فيه بيع ، وما كان فيه شرك أُبْطِل وانْتُفِع بأوعيته ، وقال فى الأُم فى سير الواقدى فى باب ترجمته كتب الأعاجم : قال الشافعي : وما وُجد من كتبهم فهو مَغْنم كله ، وينبغى للإمام أن يدعو من يترجمه فإن كان عِلمًا من طب أو غيره لا مكروه فيه ، باعه كما يبيع ما سواه من المغانم ، وإن كان كتاب شرك شَقُّوا الكتاب فانتفعوا بأوعيته وأداته فباعها ، ولا وجه لتحريقه ولا دفنِه قبل أن يعلم ما هو ، انتهى .

فقوله فى الأُم كتاب شرك ، مفهم لأنه كله شرك ، ولهذا عبر

المزنى عن ذلك بقوله : وما كان فيه شرك أى من أبواب الكتاب وفصوله ، ويوضح هذا جدًا قول الرافعى ، فى شرح قول الوجيز ، فى باب الأحداث : ويجب إهلاك كتبهم التى لا يحل الانتفاع بها ، وفى جواز استصحابها لفائدة تعرّف مذاهبهم خلاف ، قال الإمام : وقد يخطر للفطن أن كتب الشرك ينتفع بها على معنى أن الحاجة تمس إلى الاطلاع على مذاهب المبطلين ليوجه الرد عليها ، فإن كانت تلك المقالات مشهورة فالرأى إبطالها ، وإن كان فيها ما لم يتقدم الاطلاع عليه ففى جواز استصحابه : قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام فى السير من مختصر النهاية : ليعرف مقالتهم ويرد عليهم : تردُّدٌ واحتمال بيّن انتهى.

وأدل من ذلك قولهم فى باب الأحداث : أن حكمها فى الاحترام بالإكرام بتنزيهها عن مس المحدث لها كاحترام القرآن بلا خلاف ، لكن هل تلحق بما لم ينسخ فيه ليحرم المس أم بما نسخ ليكره ، رجحوا أن حكمها فى ذلك حكم ما نسخت تلاوته من القرآن فى أصح الوجهين ، وهذا الحكم مذكور فى الروضة ، والشرحين ، والكفاية ومختصرها ، والبهجة نظم الحاوى ، وغير ذلك من كتب المذهب .

والتعبير بالأصح على ما اصطلحوا عليه يدلّ على أن الوجه القائل بحرمة مسٍّ المحدث لها قوىّ ، وعبارة محرر المذهب الشيخ محيي الدين النووى رحمه الله فى مسائل ألحقها فى آخر باب الإحداث من شرح المهذب ، الثالثة : يجوز للمحدث مس التوراة والإنجيل وحملهما ، كذا قطع به الجمهور ، وذكر الماوردى والرويانى فيه وجهين ، أحدهما لا يجوز والثانى : قالا وهو قول جمهور أصحابنا : يجوز لأنها مبدلة منسوخة ، قال المتولى : فإن ظن أن فيها شيئًا غير مبدل كُره مَسُّهُ ولا يَحْرُم انتهى ،

ولا شك أن كراهة مسّ المحدث لها للاحترام ، والاحترام فرع جواز الإبقاء والانتفاع بالقراءة والسماع ، وأصرح من ذلك كله قول الشافعى رحمه الله : إن ما لا مكره فيه يُباع ، وكذا قول البغوى فى تهذيبه فى آخر باب الوضوء ، وكذلك لو تكلم أى الجنب بكلمة توافق نظم القرآن أو قراءة آية نسخت قراءتها أو قراءة التوراة ، والإنجيل ، أو ذكر الله سبحانه أو صلى على النبى صلى الله عليه وسلم فجائزٌ ، قالت عائشة رضى الله عنها : كان النبى صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه ، فإنه لا يتخيل أنه يجوز للجنب ما لا يجوز للمُحْدِث ، بل كُلّ ما جاز للجُنُبِ قراءتَهُ جاز للمحدث ولا عكس ، وتعليله لذلك بحديث عائشة رضى الله عنها دالٌّ على أن ذلك ذكر الله تعالى ، وأما قولهم فى الوصية إنها لا تجوز بمعصية مثل كتب التوراة والإنجيل أو قراءتهما ، فالمراد به كتابتهما على ما هما عليه وقراءتهما كذلك ، فإن من المعلوم فيهما المبدل وكتابتهما وقراءتهما كذلك إقرار بجميع ما فيهما ، أو تسليط على الإقرار به ، وأما إذا عقب الصحيح بما يليق به من بيان مصادقته للقرآن وتأييده به ، والمبدل ببيان فساده بتكذيب القرآن له ، فليس بداخل فى ذلك ، وعلى هذا دل كلام الشافعى كما يأتى عنه فى الفصل السابع ، حيث قال : ولو أوصى أن يُكتب بِثُلُثِهِ الإنجيل والتوراة ويدرس لم تجز الوصية ، لأن الله عز وجل قد ذكر تبديلهم منها ، فتأمل تقييده بقوله يدرس يَتضح لك ذلك ، ولا يجوز طرد هذا فى تفاصيل الكتابين لئلا يضيع تعليل الإمام رحمه الله بالتبديل ، ولا حمل المنع المذكور فى باب السير وغيره على العموم ، لئلا يتناقض مع إطلاقهم القول فى باب الإحداث بالاحترام ، ولا قولهم بالاحترام

على العموم ، لئلا يتناقض ما قالوه فى باب السير من إطلاق المنع ، بل إطلاقهم فى كل من البابين مقيد بما فى الآخر ، فإطلاقهم الجواز فى باب الإحداث مخصوص بما لم يبدل ، وإطلاقهم المنع فى باب السير وغيره محمول على المبدل ، ويزيد ذلك عندك وضوحًا ملاحظة ما نقل عن القاضى الحسين أنه يجوز الاستنجاء بهما ، لأنه مبنى على القول القائل بأن الكل مبدل ، وهو ضعيف كما يأتى ، أو محمول على المبدل منهما ، لأنه لا يخفى على أحد أن مسلمًا فضلاً عن عالم لا يقول إنه يستنجى بنحو ما فيها من نحو قول الله لجميع هده الآيات كلها : « أنا الربُّ إلهك الذى أصعدتك من أرض مصر من العبودية والرق لا يكونن لك آلهة غيرى ، لا تعملنّ شيئًا من الأصنام والتماثيل التى مما فى السماء فوق ، وفى الأرض تحت ، ومما فى الماء أسفل الأرض لا تسجُدَنّ لها ولا تعبدنها ، لأنى أنا الرب إلهك ، لا تقسم بالرب إلهك كذبًا ، لأن الرب لا يُزَكِّى من حلف باسمه كِذبًا ، أكرم أباك وأمك ليطول عمرك فى الأرض التى يعطيها الرب إلهك ، لا تَقْتُل ، لا تزن ، لا تسرق ، ولا تشهد على صاحبك شهادة زور » .

هذا آخر ما أردت ذكره من الدليل على سنية إطلاق ذكر ما لا مكروه فيه من الكتب القديمة ، للرد على أهلها به ، أو التنبيه على مصادقته لكتابنا ، وإلزامهم به ونحو ذلك من الفوائد التى لا تخفى على منصف ، مثل ظهور إعجاز القرآن ظهورًا بيّنا للذكىّ والغبىّ ، فإنه كما قيل : وبضدها تتبين الأشياء ، وأما المبدل فلا يحل ذكره إلا مقرونًا ببيان أنه مبدل ليحدّ زمنه ، وذلك نحو ما قاله الأئمة فى الحديث الضعيف والموضوع ، والله الموفق .

ولم يبق بعد معرفة هذه الأدلة وما ذكر من شرحها وبيانها من كلام الأئمة إلا اتباعها ، والوقوف عندها أو القول بالتشهى والتحكم الذى لا يسوغ ولا يعبأ بقائله ، ولا يلتفت إليه ولا يعوّل بوجه عليه ، كما نقل ذلك عن إمامنا الشافعى الإمام سراج الدين البلقينى فى أواخر قسم الفَىْء والغنيمة من ترتيبه لكتاب الأُم ، قال : ومن خالف شيئًا مما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فليست فى قوله حجة انتهى . وقال الشافعى فى أواخر كتاب اختلاف الحديث من كتاب الأُم فى آخر باب نفى الولد يخاطب شخصًا : قال له : لا أنفى الولد باللعان وأجعل لزوج المرأة بكل حال لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الولد للفراش » ، أرأيت رجلاً لو عمد إلى سنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فخالفها أو إلى أمر عرف عوام من العلماء مجتمعين عليه ولم يعلم لهم فيه منهم مخالفًا فعارضه أتكون له حجة بخلافه ؟ أم يكون بها جاهلاً يجب عليه أن يتعلم ؟ لأنه لو جاز هذا لأحد كان لكل أحد أن ينقض كل حكم بغير سنة ، وبغير اختلاف من أهل العلم ، فمن صار إلى مثل ما وصفت من أن لا ينفى الولد بلعان ، خالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ما لم أعلم المسلمين اختلفوا فيه ، ثم من أعجب أمر قائل هذا أنه يدعى القول بالإجماع وإبطال غيره ، فما يعدو أن يكون رجلاً لا لا يعرف إجماعًا ولا افتراقًا فى هذا ، ويكون رجلاً لا يبالى ما قال . انتهى

وقال الدارمى : أخبرنا الحسن بن بشر ، حدثنا المعافى ، عن الأوزاعى ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز : أنه لا رأى لأحد فى كتاب الله ، وإنما رأى الأئمة فيما لم ينزل فيه كتاب ولم تسر به سنة من رسول

الله صلى الله عليه وسلم ، ولا رأى لأحد فى سنة سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أخبرنا موسى بن خليل ، حدثنا معتمر بن سليمان ، عن عبد الله ابن عمر ، أن عمر بن عبد العزيز خطب فقال : ياأيها الناس إن الله لم يبعث بعد نبيكم نبيًا ، ولم ينزل بعد هذا الكتاب الذى أنزل عليه كتابًا ، فما أحل الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم فهو حلال إلى يوم القيامة ، وما حرم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم فهو حرام إلى يوم القيامة ، ألا وإنى لست بقاض ولكنى منفذ ، ولست بمبتدع ولكنى متبع .

وقال الشافعى فى أواخر الرسالة فى باب الاجتهاد : ولم يَجْعل الله لأحدٍ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعقل إلا من جهة علم مضى قبله ، وجهة العلم بعد الكتاب والسنة والإجماع والآثار ، ثم ما وصفت من القياس عليها ولا يقيس إلا من جمع الأدلة التى القياس بها ، وهى العلم بأحكام كتاب الله فرضه وأدبه ، وناسخه ومنسوخه ، وعامّه وخاصّه وإرشاده ، ويستدل على ما احتمل التأويل منه بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا لم يجد سنة فبإجماع المسلمين ، فإن لم يكن إجماع فبالقياس ، ولا يجوز لأحد أن يقيس إلا أن يكون عالمًا بما مضى قبله من السنن وأقاويل السلف ، وإجماع الناس واختلافهم ولسان العرب ، ولا يكون له أن يقيس حتى يكون صحيح العقل وحتى يفرق بين المشتبه ، ولا يعجل بالقول فيه دون التثبت ، ولا يمتنع من الاستماع ممن خالفه لأنه قد يثبته بالاستماع لترك الغفلة ويزداد به تثبتًا فيما اعتقد من الصواب ، وعليه فى ذلك بلوغ غاية جهده ، والإنصاف من نفسه

حتى يعرف من أين قال ما يقول ، وترك ما يترك ، ولا يكون بما قال ، أعنى منه بما خالفه حتى يعرف فضل ما يصير إليه على ما يترك إن شاء الله، قال محمد : فأما من تم عقله ولم يكن عالمًا بما وصفنا فلا يحل له أن يقول بقياس ، وذلك أنه لا يعرف ما يقيس عليه كما لا يحل لفقيه عاقل أن يقول فى ثمن درهم ولا خبرة له بسوقه ، ومن كان عالمًا بما وصفنا بالحفظ لا بحقيقة المعرفة فليس له أن يقول أيضًا بقياس ، لأنه قد يذهب عليه عقل المعانى ، وكذلك لو كان حافظًا مقصر العقل أو مقصراً عن علم لسان العرب ، لم يكن له أن يقيس من قِبَلِ نقص عقله عن الأدلة التى يجوز بها القياس فلا نقول يصح هذا والله أعلم .

الفصل السادس

فى ذكر بعض من نقل من الكتب القديمة
من الأئمة وأعيان الأمة

وذكر بعض ما نقلوه منها ويلحق به ما نقل عن أهل الأديان كلهم من اليهود والنصارى والمشركين والكهان والشياطين ، وفيه من أقرأ كتب أهل الكتاب من المسلمين ومن يقبل جرحه وأدب العالم فى إخفائه ما يخشى به الفتنة على من لا يبلغه فهمه ، كما أنه يوحى به إيمان مَن يراه من أهل الكتاب . وإن طال الزمان ، روى البخارى فى صحيحه الذى تلقته الأمة بالقبول ، وتبركوا به فى الارتحال والحلول ، عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما ، أنه قال : وقد سئل عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله إنه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن ﴿يـٰأيها النَّبِىُّ إنَّا أرسلنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشّرًا وَنَذِيرًا﴾ وحرزًا للأميين ، أنت عبدى ورسولى سَمَّيتُكَ المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخّاب فى الأسواق ولا يَدفع بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ، ويفتح به أعينًا عمياء ، وآذانًا صَمًّاء وقلوبًا غلفاء ، وقال صاحب كتاب الشفا الذى هو شفاءُ القلوب وجلاءُ الكروب ، وهو القاضى عياض ، أحد الأئمة الأعلام ، وحفاظ الإسلام ، الذى انتشر كتابه فى أقطار الآفاق وبهر ضياؤه حتّى فاق النيازك فى الإشراق بعد أن ساق الحديث المذكور ، وذكر مثله عن عبد الله بن سلام رضى الله عنه وكعب الأحبار انتهى ، والذى عن عبد الله فى البيوع من البخارى من رواية عطاء عنه كالذى قبله ، وللدارمى عن كعب الأحبار ، قال : نجد مكتوبًا فى التوراة محمد

رسول الله عبدى المختار ، فذكر حديثًا للترمذى وقال : حسن غريب عن عبد الله بن سلام رضى الله عنه ، قال : مكتوب فى التوراة صفة محمد وعيسى بن مريم عليهم السلام يدفن معه الحديث وقال فى نحو النصف من الباب الثانى من القسم الأول قالت عائشة رضى الله عنها فى الصحيح لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم فاحشًا ولا مستفحشًا الحديث ، ثم قال وقد حكى مثل هذا الكلام عن التوراة من رواية ابن سلام وعبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهم انتهى ، وقد سمع جماعة من الصحابة رضى الله عنهم من بنى إسرائيل كعب وغيره منهم العبادلة وغيرهم فقد قال أئمة الحديث إن الصحابى إذا نقل شيئًا لا يقال مثله بالرأى إنه مرفوع فى الحكم إلا إذا كان الصحابى من أهل الكتاب وفى الصحيح عن معاوية رضى الله عنه أنه ذكر كعب الأحبار ، فقال إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن (أهل) الكتاب وإن كنا مع ذلك لنبلوا عليه الكذب ، وفيه عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تُصَدِّقوا أهل الكتاب ولاتكذبوهم ﴿ وقُولُوا آمنَّا بِاللهِ ومَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وما أُنْزِلَ إِلَيْكُم ﴾ ولم يقل : لا تسمعوا منهم ، ولا تنقلوا عنهم ، وقد تقدم التعريف بالمراد من النهى عن التصديق والتكذيب عن الشافعى وغيره ، ولو يكن للناقل عنهم سندٌ إلا سنة النبى صلى الله عليه وسلم لكان فيها أَتَمّ كفاية فكيف وقد سمعت ما تلى عليك من أقوال العلماء فى ذلك .

وقال القاضى عياض أيضًا فى الشِّفاء فى أواخر الباب الثالث ومعنى قوله لى خمسة أسماء قيل : إنها موجودة فى الكتب القديمة وعند أولى

العلم من الأمم السالفة ، وقال بعده بقليل ، وقد وقع أيضًا فى كتب الأنبياء قال داود عليه السلام : اللهم ابعث لنا محمدًا مقيم السنة بعد الفترة ، قال الشيخ نور الدين المحلّى : فى هذا اعتماد على أهل الكتاب فى نسبة القول إلى الأنبياء عليهم السلام الذين لم ينطقوا عن الهوى ، وفيه ترجمته بالعربية مع نسبته إليهم . . انتهى .

وقال القاضى عياض أيضًا بعد ذلك بقليل : ومن أسمائه صلى الله عليه وسلم فى الكتب : المتوكل والمختار ومقيم السنّة والمقدس وروح الحق ، وهو معنى البار قليط فى الإنجيل .

ومن أسمائه فى الكتب السالفة : ماذ ماذ ، ومعناه : طيب طيب وحَمْطايا والخاتم والحاتم ، حكاه كعب الأحبار ، ويسمى بالسريانية مشَنقَّح والمنحمنا ، واسمه أيضًا فى التوراة أحيد ، رُوى ذلك عن ابن سيرين ، ومعنى صاحب القضيب أى السيف ، ووقع مفسرًا فى الإنجيل : معه قضيب من حديد يقاتل به وأمته كذلك .

قال الشيخ نور الدين ، قوله : قال . . . إن اعترض معترض ، وسأل عن فاعل قال من قول شيخنا فى نظم الدرر إن وجد قال فى التوراة ما هو ؟ فيجاب بأنه أراد بفاعل قال ما أراده هذا العلامة انتهى .

قال : وأوصافه وألقابه وسماته فى الكتب كثيرة ، وبما ذكرنا منها مقنع ، وقال بعد ذلك بقليل فمحمد بمعنى محمود ، وكذا وقع اسمه فى زبور داود ، وقال بعده بيسير : ووقع فى أول سفر من التوراة عن إسماعيل عليه السلام : وستلد عظيمًا لأمة عظيمة ، وسمى النبىّ صلى الله عليه وسلم فى كتاب داود عليه السلام بجبار ، فقال : تقلد أيها الجبار سيفك فإن ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك .

قال الشيخ نور الدين : قوله فقال إلى آخره فاعل قال : الكلام عليه كالذى قبله انتهى .

وقال بعد ذلك بقليل : وقال فى التوراة والإنجيل فى الحديث المشهور فى صفته ليس بفظ ، قال الشيخ نور الدين ، والكلام فى فاعل قال هذا أيضًا كما تقدم ، انتهى .

وقال فى أواخر الباب الرابع ، فصلٌ ومن دلائل نبوته ما ترادفت به الأخبار عن الرهبان والأحبار وعلماءِ أهل الكتاب ، إلى أن قال : وما ألفى من ذلك فى التوراة والإنجيل مما قد جمعه العلماءُ وبينوه ونقله عنها ثقاتُ من أسلم منهم ، وعد جماعة ممن أسلم ، ثم قال : وقد اعترف بذلك هرقل ، وعدّ جماعة ممن مات على كفره إلى أن قال : وقد قال لهم : ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ إلى غير ذلك مما فيه ، ولا ينكره فقيه ولا فاضل نبيه .

قال الشيخ نور الدين : إن أنكرَ معترض قول شيخنا فى نظم الدرر وقال متّى أو مرقس أو غيرهما ممن اشتهر عند الكتاب أنهم من حواريّ السيد عيسى عليه السلام فيقال له لا يتقاعد نقله عنهم عن نقل هذا الإمام عن الأحبار والرهبان وعلماء أهل الكتاب ، فما أجيب عن هذا فهو الجواب عنه وقوله وعلماء أهل الكتاب عام فى مؤمنهم وكافرهم فلا يعترض على من قال : وأخبرنى بعض فضلائهم يعنى أهل الكتاب وقوله العلماء هو كما يراه من له أدنى مسكة وفهم ، مناد بالإنكار على من ادعى الاجماع ، ومخبر فى وجهه ، فافهمه وقوله وقد اعترف إلى آخره سئل لم جعل هذا الإمام كلام هؤلاء الكفرة دلائل مع أن الدين

مستغن عن ذلك بما فيه من البراهين القواطع، وهل هو إلا لأن قطع الخصم بما يعتقده أتم وأحسن يشهد بذلك من حَنَّكَتْهُ الدراسة انتهى .

وأما ابن ظَفَر فى كتابه « خير البشر بخير البشر » فأكثر من ذلك جداً من التوراة والإنجيل وسفر أنبياء بنى إسرائيل والزّبور ، ولم يزل الناس يعظمون هذا الكتاب ويبالغون فى تعظيمه ، فالطعن فيم هو مثل هذا المنقول فى هذا الزمان عن هؤلاء الأئمة طعن فيهم ، والطعن فيهم وهم حَمَلة الدين والمبلغون له طعن فى الدين وهدم لاعتقاد المسلمين .

وفى السيرة لإمام أهل المغازى محمد بن إسحاق تهذيب الإمام أبى محمد عبد الملك بن هشام ، بعد قصة ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل رضى الله عنهما ، صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الإنجيل(١) ، قال ابن إسحاق : وكان فيما بلغنى عما كان وضع عيسى بن مريم عليهما السلام فيما جاء من الله فى الإنجيل من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أثبت يحنّس الحوارى لهم حين نسخ لهم الإنجيل من عهد عيسى بن مريم عليهما السلام ، أنه قال : من أبغضنى فقد أبغض الرب ولولا أنى صنعت بحضرتهم صنائع لم يصنعها أحد قبلى ما كانت لهم خطيئة ،ولكن من الآن بطروا وظنوا أنهم يعزوننى وأيضا للرب ولكن لابد أن تتم الكلمة التى فى الناموس ، أنهم أبغضونى مجانًا ، أى باطلا فلو قد جاء المنحمنا هذا الذى يرسله الله إليكم من عند الربّ روح القسط ، هذا الذى من عند الرب خرج ، فهو شهيد علىّ وأنتم أيضاً لكنكم قديماً كنتم معى فى هذا،قلت لكم لكى لا تشكوا. فالمنحمنا بالسريانية محمد صلى الله عليه وسلم وهو بالرومية

البارقليطيس ، ولا يخفى ما قال فى السيرة بعد هذا مما نسبته قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم مما يجافى عنه منصبه الشريف ومقداره العالى ، وقولهم : إنا نعبد الملائكة وهى بنات الله ، وقولهم لن نؤمن لك حتى تأتى بالله والملائكة قبيلا ، ونحو ذلك من فجورهم ، إلى غير ذلك من كلماتهم الباطلة ، ومن حكاية مذاهب الجاهلية وما كانوا عليه من الفضائح ، وقال ابن هشام ، فى وفد نصارى من نجران : فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم أبو حارثة بن علقمة ، والعاقب عبد المسيح ، والأيهم السيد ، وهم من النصرانية على دين الملك مع اختلاف من أمرهم يقولون : هو الله ، ويقولون : هو ولد الله ، ويقولون : هو ثالث ثلاثة ، وكذلك قول النصرانية فهم يحتجون فى قولهم هو الله بأنه كان يُحيي الموتى ، ويبرئ الأسقام ، ويخبر بالغيوب ، ويخلق من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طائرًا ، وذلك كله بأمر الله تبارك وتعالى ، ولنجعله آية للناس ، ويحتجون فى قولهم أنه ولد بأنهم يقولون لم يكن له أب يُعلم ، وقد تكلم فى المهد ، لم يصنعه أحد من ولد آدم قبله ، ويحتجون فى قولهم أنه ثالث ثلاثة بقول الله فعلنا وأمرنا وخلقنا وقضينا ، فيقولون : لو كان واحداً ما قال إلا فعلت وقضيت وأمرتُ وخلقت ، ولكنه هو وعيسى ومريم ، ففى كل ذلك من قولهم نزل القرآن ونقل هذا الكفر عنهم المفسرون البغوى والأصفهانى والبيضاوى وغيرهم فى السير أيضًا ، والتفاسير عند ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ ﴾(١) وعند ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَة ﴾(٢) وغير ذلك من

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٨١ .

(٢) سورة المائدة ، الآية ٦٤ .

الآيات التى حكى الله كفرهم فيها ، من حكايات كفرهم التى شرح الله لنا ذكرها ، لنرها أشياءً تقشعر من سماعها الجلود ثم ذكر بعد هذا أمر النجاشى رضى الله عنه لما أرسلت إليه قريش فى أمر من هاجر إليه من الصحابة رضى الله عنهم ، وأن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه لما قرأ عليه صدراً من كهيعص بكى وبكت أساقفته ، وقال النجاشى : إن هذا والذى جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة ، ولاشك أن التوراة كان قد بُدِّل فيها قبل ذلك ما بُدِّل، فلا ينصرف قوله إلا إلى ما عرف أنه غير مبدل ، ولا سبيل له إلى معرفة ذلك إلا أحد أمرين : إما قائلٌ يعتقد صدقه وعلمه ، وإما صُحُفٌ يُعْتَقَدُ حفظها ، وكل من الأمرين يطرقه احتمال ، فنحن أعرف منه بتمييز المبدل من غيره من كتابنا المهيمن على كل كتاب وهو المحفوظ الذى لا يطرقه شك أصلا ، لأن من سمعه فكأنما سمعه من الذى جاء به صلى الله عليه وسلم لأنه معجز لا يمكن الإتيان بمثله ، ومحفوظ لا يمكن تبديله ، ومتواتر لا يجوز انقطاع تواتره ، ومثل ما ذاق النجاشى رضى الله عنه أمر القرآن وما صح من التوراة ، كذلك ذاق ورقةُ حيث قال للنبى صلى الله عليه وسلم لما سمع منه : هذا الناموسُ الذى نَزَّلَ اللهُ على موسى ، كما هو فى الصحيح عن عائشة رضى الله عنها .

وقال الإمام ناصر الدين البيضاوى بن شمس الدين محمود الأصبهانى فى تفسيره فى قوله تعالى ﴿مثلًا مَا بَعُوضَة فمَا فَوْقَهَا﴾ (١) فى أول الكلام ، ولقد ضربت الأمثال فى الإنجيل بالأشياء المحقرة

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٦

كالزُوَان والنُخَالة وحَبَّةِ الخَردل والحَصَاة والأَرَضَة والدُود والزنابير ، وعند قوله ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ من بَعْدِ مِيثاقِهِ﴾(١) . ومنها أخذ الميثاق عليهم بأنهم إذا بعث إليهم رسول يصدقه الله بمعجزاته صدقوه واتبعوه ، ولم يكتموا ذكره فيما تقدمه من الكتب المنزلة عليهم لقوله ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾(٢) . وقوله فى الإنجيل لعيسى عليه السلام : « سأُنزلُ عليكم كتابًا فيه نبأُ بنى إسرائيل ونبأُ ما أَريتُه إياهم من الآيات وما أُنعمت عليهم وما نَقَضُوا من ميثاقهم الذى واثقوا به » .

قال الشيخ نور الدين يسأل عن مرجع المضاف إليه يعنى فى قوله وقوله فى الإنجيل ما هو ، على أنك إذا تأَملت رأَيت أنه لا إشكال فى إسناد ذلك إلى الله تعالى عند ظن صحته ما أُسند ، ولم لم يصل ذلك إلى القطع ، يشهد لذلك أن المحدثين لم يوجبوا بيان حال الحديث الضعيف ، مع أَن جملة الأَحاديث القدسية ، يقال فيها قال الله كذا إلى آخره ، فإن ادعى أنَّ المحدثين كلهم يخطئون فلا إشكال حينئذ ، نعم إن قيل بعض الناس لا يتعلق به هذه الأَحكام بل ينفرد بأَحكام مختصة به يقرب إذن انتهى .

وقال فى تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لآدمَ﴾(٣) فمنهم من قال إنه أى إبليس كان كافراً أبدا يدل على ذلك ما نقل عن شارح الأَناجيل الأَربعة أنه وقع المناظرة بين الملائكة وبين إبليس

---

(١) سورة البقرة ٣٩ .
(٢) سورة البقرة ٤٠ .
(٣) سورة البقرة ٣٤ .

بعد الأمر بالسجود وإبائه ، قال إبليس للملائكة إنى أسلّم أن الله خالقى وخالق الخلق ، لكن لى على حكمته أسئلة سبعة ، الأول : ما الحكمة فى الخلق لاسيما إذا كان عالماً بأن الكافر لا يستوجب عند خلقه إلا الألم ؟ وسرد السبعة ، وقال بعدها : فأوحى الله تعالى إليه من سرادقات الجلال والكبرياء : يا إبليس إنك ما عرفتنى ولو عرفتنى لعلمت أنه لا اعتراض علىّ فى شئ من أفعالى ، فإنى أنا الله لا إله إلا أنا لا أسأل عما أفعل ، قال الشيخ نور الدين : يُسئل عن حال هذا الشارح الذى نقل عنه هذا الإمام أمسلم هو أو لا ؟ فإن كان الأول فقد شرح زيادة على نقله للإلزام أو بيان ما انغلق عليهم منه إلى غير ذلك ، هذا المسلم أما من المعلوم أن الأصح أن فيه المبدّل فمحل النزاع أولى وإن كان الثانى فقد نقل هذا الإمام عن شرحه لما منع النقل منه لما تقدم فغير متقاعد محل النزاع عنه ، هذا مع أن من جملة ما نقل شبهة إبليس المعلوم كفره المقتضية وهن الدين لردها فالرجوع إلى الحق أولى انتهى .

وقال فى تفسير قوله ﴿ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون﴾ (١) نقلا عن الإمام الرازى هذا آخر الآيات الدالة على النعم التى أنعم الله بها على جميع بنى آدم وهى دالة على التوحيد موافقًا لما فى التوراة والإنجيل ، وقال فى تفسير ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوف ﴾ المراد بعهدى أربعة أقوال ، أحدها : ما عهد إليهم فى التوراة من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وأنه سيبعثه على ما قال الله تعالى فى الأعراف﴿ ورَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُون ﴾(٢) الآية .

(١) سورة البقرة الآية ٣٩ .
(٢) سورة الأعراف الآية ١٥٦ .

ثم قال ولنذكر بعض ما جاء فى كتب الأنبياء المتقدمين من البشارة بمقدم محمد صلى الله عليه وسلم ، منها : ما جاء فى الفصل التاسع من السفر الأول من التوراة أن هاجر لما غضبت عليها سارة تراءى لها مَلَكٌ فقال لها : يا هاجر ! أين تريدين ؟ ومن أين أقبلت ؟ قالت : أهرب من سيدتى سارة ، فقال لها : ارجعى إلى سيدتك واحفظى لها ، فإن الله سيكثر زرعك وذريتك وستحملين وتلدين ابنًا وتسميه إسماعيل من أجل أن الله سمع تلبيتك وخشوعك ، وهو يكون عين الناس وتكون يده فوق الجميع ، ويد الجميع مبسوطة إليه بالخضوع ، ومنها ما جاء فى الفصل الحادى عشر من السفر الخامس : إن الرّب إلٰهكم مقيم لكم نبيًّا من بينكم ومن إخوتكم ، وفى هذا الفصل أن الرب قال لموسى وأى رجل لم يسمع كلامى الذى يؤديه أنا منتقمٌ منه ، وفى تفسير قوله تعالى ﴿ وَآمِنُوا بِمَا نَزَّلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ ﴾ ومعنى مصدقا أنه حصلت البشارة لمحمد وبالقرآن فى التوراة والإنجيل ، فيلزم الإيمان به ، لأن التوراة والإنجيل قد شهدا على صدق النبى صلى الله عليه وسلم ، وإنما ذكر الله هذا الكلام ليكون حُجّة على بنى إسرائيل ، وفى وجوب الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وهذا الكلام يدل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من وجهين ، الأول أن شهادة كتب الأنبياء عليهم السلام لا تكون إلا حقًّا ، والثانى أنه صلى الله عليه وسلم لم يقرأ كتبهم ولم يكن له معرفة بذلك إلّا من قِبَل الوحى ، وفى تفسير قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا ﴾(١) لأنهم يتهوّدون أى يتحركون عند قراءة التوراة ، ويقولون إن السموات والأرض تحركتا حين آتى الله عز وجل التوراة لموسى عليه

(١) سورة البقرة ، الآية ٦٢ ، والمائدة آية ٦٩ .

السلام ، وفى تفسير قوله تعالى ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِم ﴾(١) فاحتالوا فعمدوا إلى صفة محمد صلى الله عليه وسلم فى التوراة وكان صفته فيها : حَسَنَ الوجه حسن الشعر أكحل العينين ربعة ، فغيّروها وكتبوا مكانها طوال أزرق سبْط الشعر ، وفى تفسير ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾(٢) إنهم كانوا قرأوا فى التوراة : أن الله يبعث فى آخر الزمان نبيًا ينزل عليه قرآنًا مبينًا ، وفى تفسير ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَة ﴾(٣) تمسك اليهودُ فى استحالة النسخ بشُبَه منها أن الله تعالى إن كان عالمًا باستمرار الحكم إلى وقت النسخ فينتهى الحكم بنفسه فلا رفع فلا نسخ ، ومنها لو نسخت شريعة موسى لبطل قول موسى المتواتر : هذه شريعة مؤبدة عليكم ما دامت السموات ، وفى تفسير ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إبراهيم ﴾ (٤) روى أن ابن سلام دعا ابنى أخيه سلمة ومهاجرا ، فقال لهما : قد علمتما أن الله يقول فى التوراة إنى باعثٌ من ولد إسماعيل نبيًا اسمه أحمد ، فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ، ومن لم يؤمن به فهو ملعون ، فأسلم سلمة وأبى مُهاجر ، وفى تفسير ﴿ إلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفسه ﴾(٥) وقد أوحى الله تعالى إلى داود : كيف عرفتنى وكيف عرفت نفسك ؟ فقال : عرفتك بالقدرة والقوة والبقاء ، وعرفت نفسى بالضعف والعجز والفناء . قال : الآن عرفتنى . وقال فى تفسير ﴿وَأُحْيِ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ الله﴾(٦) فأحيى أربعة أنفس العازر وكان صديقًا له ،

---

(١) سورة البقرة الآية ٧٩ .
(٢) سورة البقرة الآية ٨٩ .
(٣) سورة البقرة الآية ١٠٦ .
(٤) سورة البقرة الآية ١٣٠ .
(٥) هذه بقية الآية السابقة ، وصحتها (إلا من سفه نفسه) .
(٦) سورة آل عمران ٤٩ .

فأرسلت أخته إلى عيسى عليه السلام فذكر قصته التى فى الإنجيل ، فإن كان المحذور عند من أنكر لقلة ممارسته لكتب الأئمة ذكر ما فى الكتب القديمة فقد ذكر هذا الإمام المفسر وغيره من الأئمة الكبار كالرازى وكالبغوى كثيراً من ذلك ، فإن البغوى ذكر فى تفسير ﴿ قالَ مَنْ أَنْصَارِى إلى اللهِ ﴾(١) فى آل عمران قصة الذى أضاف مريم وابنها عليهما السلام وأحسن إليهما ، ثم استضافه الملك وليس عنده شراب فاهتم ، فأمره عيسى عليه السلام فملأ الخوابى ماء ثم دعا له فإذا هو شراب جيد ، فعرف الملك ذلك فسأله أن يُحيي ابنه ، وكان قد مات فأحياه ، كما ذكرها فى الإنجيل ، وذكر فى آخر القصص قصة هارون ببعض ما فى التوراة غير معزوة إليها ، وزادها أمراً فاحشاً جداً تسبوه إلى موسى عليه السلام ، نزهت كتابى عن ذكره ، وإن كان المحذور عزوه إلى تلك الكتب التى أخذ منها لأذكره غير معزو إليها فذلك أمر لا يعقله عاقل ، والتفاسير وغيرها طافحة بالنقل عن أهل الكتاب ، ومن المعلوم أنهم لا يأخذون ذلك إلا من كتبهم أو عَمن أخذه منها ، فمن سوغ النقل عنهم غير معزو ومنعه معزوا ، مع ما تقدم عن البخارى والشفا وغيرهما من النقل معزوا إلى كتبهم ، قال الشيخ نور الدين : وإنما قال شيخنا لقلة ممارسته إلى آخره لأن من المعلوم أن سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم التى هى عبارة عن ترجمة الدين وكيف بدأ وكيف نشأ ، ومن أشهر السير وأجلها سيرة ابن هشام والكلاعى وابن سيد الناس وهى مشحونة بالنقل عن التوراة والإنجيل بواسطة الأحبار والرهبان ، ففيها إسناد القول والاكتفاء فيه بأقوالهم ، ومن لم يطالع

---

(١) سورة آل عمران ٥٢ .

ذلك فهو عن الاعتناء بالدين بمعزل ، هذا مع أن فيها نقل ما كانت الجاهلية عليه من عبادة الأوثان وغيرها مما كان دينًا لهم وهو هباءٌ منثور ، فإن كان المحذور نقله لنسخه أو غير ذلك فذلك كذلك انتهى ، فإن قال قائل : إن الناقل عنهم بواسطة أحد ممن أسلم منهم مثل كعب فنقله سائغ لأنّه يميّز بين المبدّل وغيره ، ونقل غيره لا يسوغ لأنه لا يعرف المبدّل من غيره ، قيل : قد تقدم عندما ذكر عن النجاشى فى قوله : إن هذا والذى جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة : أنا أعرف منهم بالمبدّل لشهادة كتابنا المهيمن على كل كتاب لكونه مأمونًا من التحريف والتبديل والغلط ، بخلاف من يعرف ذلك من غيره ، فإن وسائطه غير مأمونة وقال الأصبهانى أيضا فى تفسير قوله تعالى ﴿حتّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُه النَّار﴾(١) ، قال المفسرون : كانت القرابين والغنائم لا تحل لبنى إسرائيل ، وكانوا إذا قربوا قربانًا أو غنيمة فتقبل منهم ، جاءت نارٌ بيضاءُ من السماء لها دخان ولها دوىٌّ فتأكل ذلك القربان وتلك الغنيمة فتحرقها ، فيكون ذلك علامة القبول ، وإذا لم يقبل بقى على حاله . وقد كان بنو إسرائيل يذبحون لله فيأخذون أطايب اللحم فيضعونها فى وسط البيت والسقف مكشوف فيقوم النبى فى البيت ويناجى ربه وبنو إسرائيل خارج البيت ، فتنزل نارٌ فتأخذ ذلك القربان فيخر النبى ساجدًا فيوحى الله إليه بما شاء ، وقيل : إن الله أمر بنى إسرائيل فى التوراة من جاءكم من أحد يزعم أنه رسول الله فلا تصدقوه حتى يأتيكم بقربان تأكله النار حتى يأتيكم المسيح ومحمد ، فإذا أتياكم فآمنوا بهما فإنهما يأتيان بغير قربان ، قيل :

---

(١) سورة آل عمران ١٨٣ .

هذه دعوى باطلة وافتراءٌ على الله ، انتهى كلام الأصفهانى . وقد قال : إنه يقال إنَّه مُبَدَّل وكذا نقله أبو حيان والبيضاوى والبغوى وغيرهم غير معزو ، وقال الأصبهانى فى تفسير ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لَتُبَيِّنُنَّهُ للناسِ ولا تَكْتُمونه﴾(١) وكان من جملة أذاهم للرسول صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا يكتمون ما فى التوراة والإنجيل من الدلائل الدالة على نبوته ، وكانوا يحرفونها ويذكرون لها تأويلات فاسدة ، وفى تفسير قوله تعالى ﴿هذا ذكر من معى وذكر من قَبْلى﴾(٢) أى وهذا ذكر من قبلى أى التوراة والإنجيل ، وليس فيها كلها إباحة ، ذلك أن اتخاذ آلهة غير الله سبحانه ،وقال الأصبهانى أيضا فى تفسير قوله تعالى ﴿وقالت اليهودُ والنصارى نحن أبناءُ الله وأَحِبَّاؤه﴾(٣) ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم دعا جماعة من اليهود إلى دين الإسلام وخوّفهم بعقاب الله ، فقالوا : كيف تخوفنا بعقاب الله ونحن أبناءُ الله وأَحِبَّاؤه ، وأما النصارى فإنهم يتلون فى الإنجيل الذى لهم أن المسيح قال لهم : اذهب إلى أبى وأبيكم ، وقال فى تفسير قوله تعالى ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾(٤) وذلك أن الجواسيس لما رجعوا إلى موسى وأخبروه بما عاينوا ، قال لهم موسى عليه السلام : اكتموا شأنه ولا تخبروا به أحداً إلى آخر القصة كما ذكرت فى التوراة ، وقال الإمام أبو حيان فى تفسيره النهر ، فى قوله تعالى ﴿وقالَ المَسِيحُ يابَنِى إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾(٥) وهذا الذى ذكره الله عنه هو

---

(١) سورة آل عمران ١٨٧ .

(٢) سورة الأنبياء ٢٤ .

(٣) سورة المائدة ١٨ .

(٤) سورة المائدة ٢١ .

(٥) سورة المائدة ٧٢ .

مذكور فى إنجيلهم يقرأونه ولا يعملون به ، وهو قول المسيح : يا معشر بنى المعمودية وفى رواية يا معشر الشعوب قوموا بنا إلى أبى وأبيكم ، وإلاهى وإلاهكم ، ومخلِّصى ومخلِّصكم . قال الشيخ نور الدين : وإذا تأملت ما نقله الإمام أبو حيان ، وقابلت به ما شنّع به على شيخنا ، مع بيانه فى آخر كل نقل ما لا يجوز إطلاقه فى شريعتنا ، مع إسقاط الإمام أبى حيان بيان ذلك اعتماداً على ظهور الأمر لمن يطالع التفسير ، فإنه لا يكون إلا ممن رسخت قدمه فى الفضائل ، ظهر لك حال التشنيع ، فالمنصرف من نقد الكلام ولم يخش فى الله لومة لوّام ، نعوذ بالله من حسدٍ يَسُدُّ باب الإنصاف ، انتهى .

وفى كتاب الإمام حجة الإسلام أبى حامد الغزالى المسمى بالرد الجميل مثل هذا الإطلاق فى غير موضع ، بل الكتاب كله موضوع لما فيه وفى التوراة من إطلاق الأب والابن وما ظاهره الاتحاد وتأويل ذلك وتضليلهم فى الاغترار بظاهره من غير رد له إلى المحكم ، قال الشيخ نور الدين هذا مع ما فيه — أى كتاب الغزالى — من النقل عن إنجيل يوحنا ومرقص ولوقا فيالله من ساع فى التشنيع على مثل هذا الإمام وعلى غيره من الصحابة والتابعين والمقلدين وغيرهم .

وكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم

انتهى . وكذا صاحب كتاب الصحائف فى أصول الدين ذكر كثيراً من التوراة والإنجيل ورد عليهم بهما . وقال : إن أحسن ما يرد على الإنسان بما يعتقده وينجح باستخراج ذلك ، وذلك أيضا موجود فى شرح المقاصد للشيخ سعد الدين ، وكذا شرح المواقف للسيد ، وغيرهما من أصول

الدين فإن كان المحذور عند من أنكر ذلك مجرد ذكره ففى هؤلاء الأئمة أسوة ، وكفى بهم متبعًا وقدوة ، فالطاعن فى من اقتدى بهم لأجل ما اقتدى بهم فيه طاعنٌ فيهم ، والطاعن فيهم وهم سلف الأمة وعلماؤهم وصلحاؤهم وحملة الشريعة طاعن فى الدين فكيف إذا انضم إلى ذلك تأييدهم بنص الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . فقد قال الله تعالى فى كتابه العزيز الذى يقرأ على البَرِّ والفاجر والعالم والجاهل ﴿وقالت اليهود عزيرٌ ابنُ الله وقالت النصارى المسيح ابنُ الله ﴾(١)وإن كان المحذور عندهم ذكره مقرونًا بردِّه أو تأويله بأن المراد به غير ظاهره ، فهو منابذةٌ للدين ، وقال الإمام ناصر الدين البيضاوى فى تفسير قوله تعالى ﴿بديع السموات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كُنْ فَيَكُون﴾ (٢) واعلم أن السبب فى هذه الضلالة يعنى اعتقادهم أن ذلك حقيقة أن أرباب العلوم المتقدمة كانوا يطلقون الأب على الله باعتبار أنه السبب الأصلى حتى قالوا : إن الأب هو الرب الأصغر والله تعالى هو الأب الأكبر ، ثم ظنت الجهلة منهم أن المراد به معنى الولادة فاعتقدوا ذلك تقليداً ولذلك كُفِّر قائله ومنع منه ، مطلقًا حسمًا لمادة الفساد ، انتهى . فهذا يسير مما نقله الأئمة عن أهل الكتاب ومن كتبهم من كان يريد الحق كُفىَ فى معرفته ، ومن أراد الباطل والعناد فالله قاصمٌ له وعاصم من كيده . وما أشبه قوله فى منع النقل عنهم رأسًا الذى قد يلزم منه ردُّ كل ما عندهم من غير نظر فى كتابهم بتكفير كل من طائفتهم الأخرى . قال ابن إسحاق : ولما قدم

(١) سورة المائدة ٧٢ .

(٢) سورة البقرة ١١٧ .

[أهل نجران من النصارى على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتتهم أحبار يهود فقال رافع بن حرملة : ما أنتم على شئ ، وكفَر بعيسى عليه السلام وبالإنجيل ، فقال رجل من أهل نجران من النصارى لليهود : ما أنتم على شئ وجحد نبوة موسى عليه السلام وكفر بالتوراة فأنزل الله تعالى ﴿ وقالت اليهودُ ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ وهم يتلون الكتاب ﴾(١) وقد كانت الكتب الإلٰهية القديمة فيا هو خير من هذا العصر مما سلف من الأعصار التى كانت أكثر علمًا وعلماء وأمّارين بالمعروف متظاهراً بها غير مخفى أمرها حتى إنها توقف فى خزائن أهل الإسلام ، وكانت هذه الكتب تقرأ على العلماء فلا ينكر ذلك ، نقل قاضى القضاة شمس الدين بن خلكان فى تاريخه عن الكمال أبى الفتح موسى بن يونس الشافعى والد شارح التنبيه : أنه كان متبحراً فى العلوم ، وأن الفقهاء كانوا يقولون إنه يدرى أربعة وعشرين فنًّا دراية متقنة ، فمن ذلك المذهب وكان فيه أوحد الزمان وكان يحل الجامع الكبير للحنفية أحسن حل إلى أن قال : وبالجملة فلقد كان كما قال الشاعر :

وكان من العلوم بحيث يقضى   له فى كل علم بالجميع

قال : وكان له فى التفسير والحديث وأسماء الرجال وما يتعلق به يد جيدة ، وقال : وكان شيخنا ابن الصلاح يبالغ فى الثناء عليه ويعظّمه فقيل له يومًا : من شيخه ؟ فقال هذا الرجل خلقه الله عالماً لا يقال من شيخه ، فإنه أكبر من هذا . قال : وكان أهل الذمة يقرأون عليه

---

(١) سورة البقرة ١١٣ .

التوراة والإنجيل ويشرح لهما هذين الكتابين شرحاً يعترفون أنهم لا يجدون من يوضحهما لهم مثله ، ونقل عن الأثير الأبهرى أنه قال : ما دخل بغداد مثل الكمال ، هذا إلى أن قال : وهو فى الفقه والعلوم الإسلامية نسيج وحده ، ودرس فى عدة مدارس ، وتخرج عليه خلق كثير وتولى المدرسة العلاميّة عن أخيه الشيخ عماد الدين محمد ، ولما فتحت المدرسة القاهرية تولاها ثم تولى المدرسة البدرية ، وحضر فى بعض الأيام درسه جماعة من المدرسين أرباب الطيالسة ، وكان العماد أبو على عمر بن عبد النور الصنهاجي النحوى البجائى حاضرا فأنشد على البديهة :

كمال كمال الدين للعلم والعلى ... فهيهات ساع فى مساعيك يطمع

إذا اجتمع النظار فى كل موطن ... فغاية كل أن تقول ويسمعوا

فلا تحسبوهم من عناد تطيلسوا ... ولكن حيـاءً واعترافا تقنعوا

وأطال فى مدحه وقال فى أثناء الكلام ومن يقف على هذه الترجمة قد ينسبنى إلى المغالاة فى حق الشيخ ، ومن كان من أهل تلك البلاد وعرف ما كان الشيخ عليه علم أنى ما أعرته وصفًا ، ونعوذ بالله من الغلو والتساهل فى النقل ، ونقل عنه كثيرًا من هذه الترجمة وما ذكره عن التوراة والإنجيل كل من جاء بعده كابن الوردى وابن الشحنة فى تاريخهما ، والسّبكى والإسّنوى وابن قاضى شهبة فى طبقاتهم ، وقال السّبكى فى آخر ترجمته : وحاصل الأمر عند الإنصاف وترك الغلو أنه كان إمامًا مبرزا ذكيًا جامعًا لأشتات العلوم انتهى ، ولم يَعِبْ عليه أحمد ممن ترجمه

إقراءهُ للتوراة والإنجيل ، وكل من بذّ الناس سبقًا وعلاهم فوقًا ، لا يعدم من يتكلم فيه ممن لا يفهم بعض كلامه ، أو يحسده لأنه لا يصل إلى جميع مرامه كما قيل :

وكم من عائب قولا صحيحا   وآفته من الفهم السقيم
وإذا أتتك مذمتى من ناقص   فهى الشهادة لى بأنى كامل

ومن جهل شيئًا عاداه ، ومما ينسب إلى إمامنا الشافعى رحمه الله أو على ابن أبي طالب رضى الله عنه .

وضد كل امرىء ما كان يجهل   والجاهلون لأهل العلم اعداء

ومن المعلوم عند أئمة الحديث وجهابذة النقد أن الجرح لا يقبل إلا مفسرًا بل وان فُسِّر نظر فى الخارج هل هو مطعون فيه بجهل أو فسق أو غرض ، وإن سلم من ذلك وكان هناك توثيق من هو مثله أو أعلى منه ، نظر فى القولين هل يتنافيان أم لا ؟ ويجتهد فى مثل ذلك ليقدم الأصل ويترك غيره ، فأعراض الناس ليست هيّنة ليتكلم فيها من لم يتضلع بالعلوم ويشتهر بالدين ، فما جاء البلاء إلا ممن يتكلم وهو يظن أنه يعلم ، والحال أنه لا يقبل فى ثُمْن درهم كما مضى عن إمامنا الشافعى ، ولا سيا إن وجد له جهلة مثله ، فالجنسية علة الضم يتلقفون من كلامه ويبردون غليل حسده وأوامه ، وما آفة الأخبار إلا رواتها ، ولعمرى أن الحق لواضح جدًا عند من يتعرفه وهو منصف ، فكل من يتكلم من وراء منسوب إلى أفرى الفرى ، ومن لم يقدر على إبراز كلامه لخصمه فقد شهد على نفسه بجهلها ولخصمه بعلمه ، وهذا برهان بديهى التصور ، واضح التقرر والتحرر ، ولمثل هذا كان مثل هذا الأمر مما ينبغى أن يصان عمن لا يسعفه عقله ، فقبيح

الله من أحوج إلى إظهاره ، ودعا إلى إشاعته عند من ليس بأهله وإشهاره فقد ذكر أئمة المحدثين فى الآداب المحدث أنه لا يروى فى الإملاء المشكل الذى لا يحتمله عقول العوام ، قال الشيخ زين الدين العراقى تبعًا لابن الصلاح فى شرح منظومة كتابه : قال الخطيب : وليجتنب فى أماليه ، ما لا تحتمله عقول العوام ، ثم قال : وإن الأحاديث صحاحًا ولها فى التأويل طرق ووجوه إلا أن من حقها أن لا تروى إلا لأهلها خوفًا من أن يضل بها من جهل معانيها فيحملها على ظاهرها ، أو يستنكرها فيردها ، هذا وأما ما نقل العلماء عن غير أهل الكتاب من أعداء الإسلام فى تأييد الحق وتكذيب الباطل فكثير ، ففى السيرة باب معقود للنقل عن الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى والكهان من العرب ، قال ابن هشام :أما الأحبار من يهود والرهبان من النصارى فممّا وجدوا فى كتبهم من صفته وصفة زمانه ، وأما الكهان من العرب فأتتهم به الشياطين من الجن فيما تسترق من السمع ، إذ كانت لا تحجب عن ذلك بالقذف بالنجوم ، فقد اشتمل هذا على النقل فى تأييد الإسلام عن جميع طوائف الكفرة من الجن والإنس ، وتلقّت ذلك الامة بالقبول بل استحسنوه وأثنوا عليه ومدحوه عصرا بعد عصر وجيلا بعد جيل ، فقد وقع عليه الإجماع وانفصل النزاع حتى جاء فى هذا الزمان من لا خلاق له ، يشنّع بما ليست له حقيقة ولو ثبت كان جهده أن يكون مثل هذا ، فيخشى على من أنكر مثله على بعض أهل عصره أن يكون ممن أنكر مجمعًا عليه مَعْلُومًا من الدين بالضرورة ، وقال ابن هشام عقب النقل عن طوائف الكفرة فى إنذار يهود برسول الله صلى الله عليه وسلم : ومنهم رجلٌ بشّر برسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال سلمة

ابن سلامة بن وقش: فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم وهو حيٌّ بين أظهرنا ، فآمنا به وكفروا به بغيا وحسدًا ، وفيها فى قصة حسان رضى الله عنه فى الذى قال من اليهود : وطلع الليلة نجم أحمد .

وفى البخارى النقل عن ابن الناطور وهرقل فى ظهور النجم الدال على النبيّ صلى الله عليه وسلم المبعوث إلى الأميين صلى الله عليه وسلم ، ومن ذلك قصة ابن الهيسان التى نفع بها ناسًا منهم ابنا سعَيّة فأسلموا بعد مدة طويلة ، وغير ذلك وهو كثير ، وفى السيرة والتفسير لقوله تعالى ﴿وكانُوا من قَبْلُ يَسْتَفْتحون على الَّذِين كفروا﴾ (١) إن الأنصار رضى الله عنهم . قالوا: إن مما نفعنا وهدانا للإسلام لما كنا نسمع من رجال يهود من أمر النبى صلى الله عليه وسلم » انتهى .

وهذا الذى يذكر فى التفسير من كتبهم يرجى به ما رجى من ذلك ولو بعد حين ، وقال ابن هشام فى السيرة فى بنيان الكعبة قال ابن إسحاق : فحدثنى بعض من يروى الحديث أن رجلا من قريش ممن كان يهدمها ، أى الكعبة حين أرادوا بناءها أدخل عتلة بين حجرين منها ، ليقلع بها أحدهما فلما تحرك الحجر تنقضت مكة بأسرها فانتهوا عن ذلك الأساس ، قال : وحُدِّثت أن قريشًا وجدوا فى الركن كتابًا بالسريانية فلم يدروا ما هو حتى قرأه لهم رجل من يهود ، فإذا هو : أنا الله ذوبكة خلقتها يوم خلقت السموات والأرض وصورت الشمس والقمر ، وحففتها بسبعة أملاك حفًّا لا تزول حتى يزول أخشباها ،

---

(١) سورة البقرة الآية ٨٩ .

مبارك لها فى الماء واللبن ، فهذا عن بعض الجاهلية عن رجل يهودىّ عن خط سريانى فى وصف بلد الله الحرام ببعض ما لا يتحقق صحته ولا فساده أهل الإسلام ولم ينكره أحد من الأعلام .

ديوان السلطان الغوري

دراسة وتحقيق

الأستاذ شعبان محمد مرسي

بسم الله الرحمن الرحيم

الأشرف أبو النصر قانصوه الغورى

يسمى جندب بن عبد الله ، وقانصوه لقبه،ويلقب كذلك بسيف الدين وكنيته أبو النصر ، وأما قولهم : الملك الأشرف ، فذلك تعظيم له ،والغورى نسبة إلى طبقة الغور وهى إحدى الطبقات التى كانت بمصر ، يقول نجم الدين الغزى : « قانصوه بن عبد الله الجركسى السلطان الملك الأشرف المشهور بالغورى ،وسماه ابن طولون جندب،وجعل قانصوه لقبا له،وقال : « والغورى نسبة إلى طبقه الغور قال ابن الحنبلى : إحدى الطبقات التى كانت بمصر مدة تعليم المؤدبين ...(١)» .

وأختلف الدارسون فى ضبط كلمة (الغورى) ، فقد ضبطها الدكتور عبد الوهاب عزام « الغَـوْرى» بفتح الغين وسكون الواو ، معتمدا على مجىء هذا الأسم بهذا الضبط فى مقدمة الشاهنامة التركية ، وحجته كذلك أن الأسم ورد بهذا الضبط على مصحف للسلطان محفوظ بدار الكتب المصرية يقول الدكتور عزام : « بينت فى محاضرة ألقيتها فى الجمعية الجغرافية الملكية منذ سنوات أن الضبط الصحيح لهذا الاسم هو الغورى بفتح الغين لاضمها، وكانت حجتى فى هذا أن الاسم كتب بهذا الضبط على مصحف للسلطان فى دار الكتب المصرية ، وقد صدق هذا الرأى أبيات كثيرة فى الشاهنامة التركية جاء فيها الغورى فى القافية مع كلمات مثل دور ، وعور ، وأن الاسم ضبط هذا الضبط فى عنوان هذا الكتاب . وفى ابن إياس سجعة ترجح أنه الغورى بضم الغين ، ولكنها لاتكافى الأدلة القوية التى ذكرتها »(٢) .

---

(١) الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة : تأليف نجم الدين الغزى : تحقيق جبرائيل سليمان جبور ، ط . بيروت ١٩٤٥ جـ ١ ص ٢٩٤ .

(٢) مجالس السلطان الغورى . للدكتور عبد الوهاب عزام . مطبعة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤١ م

وأما الدكتور محمود رزق سليم فقد ضبط (الغورى) بضم الغين فى كتابه « الأشرف قانصوه الغورى » هكذا فى عنوان الكتاب ، بيد أنه لم يقف عند مناقشة الضبط الصحيح للاسم على الرغم من أنه قد أفادمن كتاب الدكتور عبد الوهاب عزام ، وفى هذا ما يوحى بعدم التيقن ، مما دفعه إلى المرور بها مر الكرام .

وقد أخبرنى الدكتور محمد عامر (١) أن الضبط الصحيح لهذا الاسم هو ضم الغين (الغورى) نسبه إلى منطقة الغور ببلاد الترك ، وهى التى جلب منها الغورى صغيرا ، والذى حمل الغورى على ضبطه هذا الاسم بفتح الغين هو محاولته إيجاد نسب عربى له ، وكان النسب العربى فى ذلك الأوان له قيمة كبرى ، فالغورى بالفتح ستكون نسبة إلى منطقة الغور العربية ، وبناء على هذا سيكون عربيا .

ولكننى أميل إلى ضبط الاسم بفتح الغين (الغورى) ، لأن المجموعة الشعرية التى نظمها السلطان كلها تضبط الغورى بفتح الغين ، حيثما ورد هذا الاسم ، وكثيرا ما ورد ، كما سيظهر فى الديوان ، إن شاء الله تعالى .

ولكن يبقى لرأى الدكتور عامر كيانه ، إذ إنى وجدت عبارة من كلام السلطان الغورى نفسه يجعل الجراكسة من العرب فى هذه العبارة ، يقول السلطان : الجركس من الغساسنة ، فهم عرب(٢) .
ولعل المتخصصين فى تاريخ المماليك يهتمون بهذه المسألة ، فتقال فيها كلمة الفصل ، بعد إثارة المسألة .

ولد السلطان الغورى فى حدود سنة ٨٥٠ هـ ، قال ابن طولون :

---

(١) هو مدرس التاريخ الإسلامى فى دار العلوم : جامعة القاهرة ، وهو متخصص فى تاريخ المماليك فى مصر .

(٢) مجالس السلطان الغورى للدكتور عزام . ص ٥١ .

، كان يذكر أن مولده فى حدود الخمسين وثمانمائة(١) اشتراه السلطان قايتباى ، لكن لا ندرى فى أى سنة على وجه التحديد ، ولا كم كانت سنه حين جاء مصر ؟ لكن المعروف أن المماليك كانوا يشترون ، وهم فى سن تتراوح بين ثمان ، وخمس عشرة (٨ : ١٥) ، فلعله اشترى وجلب إلى مصر فى حدود سنة ٨٦٠ هـ .

وأصول السلطان لا نعرف عنها إلا النزر اليسير ، فأبوه اسمه عبد الله، وماذا كان يعمل عبد الله هذا ؟ ومن هي أم السلطان الغورى ؟ وهل كان له إخوة أو لا ؟ وما نوعهم ؟ ومادرجتهم الثقافية ؟ وما طبقتهم الاجتماعية ؟ كل هذه الأسئلة ، لا نجد عنها جوابا شافيا ؛ غايةما فى الأمر . أنه كان من بيئة اجتماعية فقيرة ومطحونة .

عنى به مولاه ، ورباه تربية حسنة ، على نسق تربية المماليك ، فنال حظا من الدين والعلم والفروسية ، وكانت له خصال حميدة امتاز بها من سائر الأتراك ، فقد كان لين الجانب ، طيب المعاشرة، محبا للعلوم والفنون مشاركا فيها على قدر جهده وملكاته ، ليس بالحقود ولا الحسود ، يملك نفسه عند الغضب ، يقول ابن إياس : «فأما ما عد من محاسنه ، فإنه كان يملك نفسه عند الغضب وليس له بادرة محدة ، ومنها أنه كان له اعتقاد زائد فى الصالحين والفقراء ، ومنها أنه كان يعرف مقادير الناس على قدر طبقاتهم . ومنها أنه كان ماسك اللسان عن السب للناس فى شدة غضبه . ومنها أنه كان يفهم الشعر ويحب سماع الآلات والغناء ، وله نظم على اللغة التركية ، وكان مغرماً بقراءة التواريخ والسير ودواوين الشعر . وكان قريبا من الناس يحب المزاح والمجون فى مجلسه ، غير كثيف الطبع فى ذاته . وكان عنده لين جانب ورياضة بخلاف طبع الأتراك ، ولم يكن عنده شمم (٢) ولا تكبر نفس (٣) .

---

(١) الكواكب السائرة . جـ ١ : ص ٢٩٤ .
(٢) يقصد : لم يكن متكبراً .
(٣) بدائع الزهور فى وقائع الدهور . لابن إياس الحنفى . حوادث سنة ٩٢٢ هـ

والصورة الجسمية لهذا السلطان ، بينها لنا المؤرخ ابن إياس ، فقال : « كانت صفته طويل القامة ، غليظ الجسد ، ذو كرش كبير ، أبيض اللون ، مدور الوجه ، مشحم العينين ، جهورى الصوت ، مستدير اللحية ، ولم يظهر بلحيته الشيب إلا قليلا» (١) .

وتزوج السلطان خوند جان سكر التى توفيت سنة ٩٢٢ هـ (١٩ — ربيع الأول) وهى من أصل جركسى ، وهى أم ولده الذى توفى فى سنة ٩١٠ هـ ،لقد أنجب الغورى ثلاثة أبناء ذكور ، لم يعش منهم سوى الناصرى محمد الذى صحب أباه فى « مرج دابق » وعاد إلى مصر بعد الهزيمة ، ثم لما استولى سليم العثمانى على مصر صحبه إلى استانبول .

تولى السلطان الغورى عدة مناصب منها كاشف الصعيد ،ثم أمير عشرة ، ثم واليا بالشام ، ثم مقدم ألف ، وبعد موت قايتباى ، ملك طومان باى مصر ، فملك الغورى الدوادارية الكبرى والوزارة والأستادارية ، ثم شاء له القدر أن يملك مصر كلها ، وما كان فى حوزتها من بلاد الشام والحجاز دون مشقة ، ولاعنت ، وكان كما قيل :

ألا إنما الأقسام تحرم ساهرا وآخر يأتى رزقه وهو نائم

تولى الغورى مصر وكانت خزائنها فارغة ، ثم امتلأت بالأموال ، وكانت نفس السلطان نفس فنان ، تميل إلى الطرب والجمال والدعة ، فقد اهتم هذا السلطان بإنشاء الحدائق والغناء ، والبساتين الوارفة ، والبنايات الفخمة ، التى ما تزال آثارها باقية حتى اليوم ، منها الغورية وخان الخليلى وغيرهما ، وعنى كثيرا بالحفلات والأعياد فكانت تحمل إلى أماكن المنتزهات كجزيرة الروضة ، كل أنواع اللهو من الطبول وأدوات الزمر والموسيقى والزينات تعلق ، ويرقص الناس ، وكل ذلك حمل خزانة الدولة مالا تطيق ، فلجأ السلطان إلى التعسف فى الضرائب ، بغية جمع المال ، وقاسى الناس من ذلك كثيرا .

---

(١) ابن إياس .

كان السلطان متدينا ، وكان يبنى المساجد ويصلحها ، وياللأسف كان ذلك مجهدا للناس ، غاية الإجهاد ، وما قيمة المساجد التى تبنى بإرهاق الناس؟! ودون رحمة بهم ؟! وهكذا كان يتصور أنه يتقرب إلى الله ، فى الوقت الذى يشكوه الشعب إلى الله ، وكان هذا الظلم هو أساس كل العيوب أو المساوىء التى آخذه عليها المؤرخ ابن إياس الحنفى ، والتى علل بها سقوط دولة الغورى .

من الخصائص التى امتاز بها السلطان الغورى ميله إلى السلم ، فقد سالم الدول المجاورة له ، وهى دولة آل عثمان ، ودولة الشاه إسماعيل ، وظلت مصر فى سلم حوالى ست عشرة سنة ، وكل ما حدث فى أثناء ذلك كان مناوشات ، ولذلك كانت تجرد لها التجريدات الخفيفة ، وفى الميدان الداخلى حافظ السلطان على الأمن العام ، وأدب العربان الذين كانوا يسطون على الفلاحين .

وكان السلطان يقاوم البرتغاليين فى بلاد الهند ، والشرق ، والخليج العربى ، واستطاعت مصر أن تكون لها مراكزها التجارية هناك ، وتؤمن سبل التجارة زمنا لا بأس به .

ثم كانت النهاية حين دارت رحى الحرب بين الدولة العثمانية والدولة المملوكية فى مصر ، وهزم المصريون بسبب الخيانة التى وقعت فى صفوف العسكر المصرى ، وقتل السلطان قانصوه الغورى فى هذه الموقعة (مرج دابق) ، وكان هذا من محاسنه ، وهى أنه لم يفر من المعركة أبدا ثم دخل السلطان سليم مصر ، وذلك بعد مقاومة عظيمة بقيادة البطل طومان باى ، وانقضى عهد المماليك ، وأسدل الستار عليها ، وصارت كأن لم تغن بالأمس .

• • •

لم تكن حالة المعارف والعلوم والآداب فى عصر الغورى بالحال التى تسر ، إذ كان الذى يسود الأدب هو الزجل ، وهو باللغة العامية ، وأما أدب الفصحى فقد توكأ على عصا ، لقد ضاق معجمه ، وهرمت معانيه ، واستولت عليه الألغاز والأحاجى ، واهتم بسفاسف الأمور ، والأدب كما هو معلوم عنوان تقدم الأمم ، فإذا انهار انهارت ، وهذا ما حدث آنئذ.

وكان الجدل الدينى يدور حول جزئيات لا قيمة لها ، وإن كان لها قيمة فهى لا تساوى عناء النقاش حولها ، وهذا ما يتضح من مجالس الغورى بخاصة ، وكان العلماء الكبار مقلدين للمذاهب فلم يكن فيهم عنصر الاجتهاد ولم يكن عندهم حلول لمشاكل الشعب العامة مستمدة من الدين الذى يحى النفوس حياة طيبة فى الدنيا والآخرة ، بل جل ما كان هنالك هو التجميع فى موسوعات ، وشرح تلك المجاميع ، واختصار تلك المجاميع ، وعد أكثرهم كتبا بهذه الصورة أعظمهم ، وهذا مقياس فيه نظر .

والتأليف فى علوم العربية أصابه الوهن اللهم إلا بعض مؤلفات السيوطى مثل كتاب المزهر .

ربما يستثنى من هذا الحكم العام التاريخ ، فإنه قد كتب فيه تاريخ ذلك الزمان وأهله ، وهو المفيد والجديد ، كتبه مؤرخون من أمثال السخاوى وغيره .

. . .

تلقى الغورى علوم عصره أو بعضها ، وبدأ يشارك فيها ، فخلف لنا فى مجال النثر كتابين : .

١ — نفائس المجالس السلطانية .

٢ — الكوكب الدرى فى مسائل الغورى .

وقد انتقى الدكتور عبد الوهاب عزام منهما بعض المسائل التى تصور

الحال العامة آنئذ وجمعها فى كتاب سماه : « مجالس السلطان الغورى »، وصدره بمقدمة عن السلطان اعتمد فيها على ابن إياس .

ومن آثار السلطان الباقية أنه أمر الشاعر الشريفى بترجمة الشاهنامة من الفارسية إلى التركية ، ولكنه لم يترجمها إلى العربية .

ومن آثاره الباقية فى مجال الشعر ، مجموعة وجدتها فى معهد المخطوطات العربية تحت عنوان : « القصائد الربانية والموشحات السلطانية الغورية » رقمها ٦٤٦ أدب وعدد أوراقها ثلاثون ورقة من القطع الصغير ، وخطها ممتاز ، وبالصفحة خمسة أسطر وكاتبها هو شاوبك مر أزدمر من طبقة الحوش ، كتبها برسم السلطان الغورى نفسه ، كتبها بخط النسخ الجميل ، وليس عليها تاريخ الفراغ منها ، واليقين أنها كتبت فى عهد السلطان إذ هى برسمه .

مجموعة أخرى من القصائد والموشحات منتخبة ، وجدتها بالأزهر ، ضمن مجموعة تحت رقم (٦٢٤) أباظة ٧٢١٩ ، وهى بقلم نسخ جيد ، مسطرتها ١٩ سطرا ، وتبدأ فى المجموعة من الورقة الحادية عشرة ، وتنتهى فى السابعة والعشرين ، ٢٠ سم ؛ ولا يعرف منتخبها .

أول هذه المجموعة قصيدة مطلعها :

حلا للقوم فى حضرة الأنس　　　فلاحت وجنة فى وجنة الشمس

والبيت بهذه الصورة مكسور عروضيا ، وتصحيحة كما فى التحقيق .

هذه المجموعة تتفق فى بعضها مع المجموعة التى وجدتها فى معهد المخطوطات وتختلف عنها فى أحيان كثيرة ، ففيها زيادات فى القصائد والموشحات التى وردت فى معهد المخطوطات ووردت بها ، وبها قصائد لم ترد فى مجموعة المعهد ، وتمتاز مجموعة المعهد ، بأنها تذكر نغمة الموشح الموسيقية ، فى حين لا تصنع هذا مجموعة الأزهر ، وسيظهر هذا من التحقيق فى موضعه، إن شاء الله تعالى .

ووجدت قصيدة للسلطان فى كتاب « الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة » ، تأليف نجم الدين الغزى ، تحقيق سليمان جبور ، يرد بها السلطان على قصيدة أحمد الفرفورى التى مدحه بها ، فأثبتها فى الديوان وأثبت قصيدة الفرفورى قبلها حتى تتضح أفكار قصيدة الغورى ، وتستبين جودتها .

وقد رتبت نظم الغورى قسمين :

١ — الشعر حسب القافية .   ٢ — الموشحات .

وقد كتبت دراسة عن ديوان السلطان هذا أساسها الإيجاز .

« وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب »

شعبان محمد مرسى
المعيد بقسم الدراسات الأدبية (كلية دار العلوم)
جامعة القاهرة

الجمعة : ٩ رمضان المبارك ١٤٠١ هـ
١٠ يوليو تموز ١٩٨١ م

« دراسة موجزة فى شعر السلطان الغورى ، وموشحاته »

حوى ديوان السلطان الغورى ستا وعشرين قصيدة ومقطوعة ، دارت حول عدة موضوعات اختلفت فيا بينها فيا حازته من قصائد ، والموضوع الذى حاز أكبر عدد من القصائد والمقطوعات هو الغزل إذ استحوذ على ثمان قصائد ومقطوعات هى [١ - ٧ - ١١ - ١٨ - ١٩ - ٢٠ - ٢٢ - ٢٦] والموضوع الثانى الذى استحوذ على مثل هذا العدد هو الدين [٢ - ٣ - ١٤ - ١٦ - ٢١ - ٢٣ - ٢٤ - ٢٥] . والموضوع الثالث هو المدح ، وبه ثلاث قصائد [٤ - ٩ - ١٥] . والموضوع الرابع هو التصوف ، وبه ثلاث قصائد [٦ - ٨ - ١٣] . والمضوع والخامس هو الخمر ، وبه قصيدة واحدة رقم [١٠] ، والموضوع السادس هو الهجاء الاجتماعى ، وهو قصيدة واحدة رقم [١٧] .

١ - الغزل :

تغزل الشاعر فى المذكر والمؤنث ، وظاهرة التغزل فى المذكر كانت شائعة فى العصر المملوكى ، وهى تمتد بجذورها عبر التاريخ حتى العصر العباسى ، زمان أبى نواس وتابعيه ، غاية الأمر أنها اشتدت فى عصر المماليك ، نتيجة الانحراف فى طبيعة الحب ، وكان هذا بسبب كثرة الغلمان الأتراك الذين كانوا على مستوى عال من الجمال . وبسبب انهماك الناس فى الملذات والشهوات ، وتقاعسهم عن الجهاد فى سبيل حياة كريمة وإنما شاع الكسل . وشرب الخمر والحشيش ، والاهتمام بسفاسف الأمور ، مما انعكس على الشعر والنثر ، باعتبارهما يستمدان من البيئة ، وهذا يفسر ظاهرة الفقر فى المعانى التى يعانى منها شعر المماليك، وأدبهم عامة، على أن هناك سببا آخر فى وجود الغزل بالمذكر فى الشعر هو تقاليد الشعر ، فليس كل شاعر قال شعرا فى مذكر قد صنع الفحشاء ، وإنما هى التقاليد الشعرية المتوارثة من عصر العباسيين، إذ حل الغزل بالمذكر محل الغزل بالمؤنث إلى حد ماأو بتعبير أدق نافسه كثيراً، وكثير من أوصاف المرأة ألبست للمذكر، حتى إنه ليدق فى بعض الأحيان أن نعرف إن كان الشاعر يتغزل فى مذكر أو مؤنث

لكن إذا وجدت بعض الأوصاف الخاصة بالمذكر مثل العذار الذى يسيل على خد ، فهنا يتعين أن المحبوب مذكر ... إلخ .

والنموذج الذى يستنبط من أشعار الغورى فى الغزل له خطوط عريضة ذات جذور عميقة فى التراث السابق على الغورى ، فصيدة الغزل تتكون من شخوص أولها شخص المحبوب ، وثانيها شخص المحب ، والثالث شخص العذول .

فالمحبوب من ناحية **الجمال الجسمى** قمر الوجه ، أهيف القد ، جميل الخد ، يغار منه الغصن الرطب والورد الزاهى ، عيونه خلابة ، فاترة ، تخجل من جمالها عيون النرجس ، على وجهه ماء الحياة ، وبهاء الشباب وتوقده ، ثغره بسام مشرق ، ناصع بياض الأسنان ، شهد الريق ،شعره أسود فاحم ، كالليل البهيم ، إذا مشى تأود ، خصره نحيف ، وردفه ثقيل .

ويتمثل **جماله النفسى** فى طيش لبه فهوغر ،لكنه ممتنع ، صعب القياد ، نافر كالغزال ،لايجيب دعوة داع ،ولا يشفى مريض حبه ، يفرح بشكوى الشاكين ، ولايمسح دموعهم بوصالهم .

والمحب يدرك جمال المحبوب ، فيسقط فى بحر حبه ، ولكنه لا ينال شيئا ، يهجره الحبيب فييأس ، ويبكى وينتحب ، ويظل الليل سهران ، يكوى الحب ضلوعه ، ويوجع قلبه ، وتخرج زفراته حرى ، وينم شهيقه عن حبه ، ويهزل جسمه ، وتضعف قواه ، يشكو إلى المحبوب فلايسمع ، ويدعوه فلايطيع، يعوده الطبيب فلا يرضى علاجه ، إنه يعرف داءه ،وفى دائه كل دوائه ، ولكن هيهات ، يلومه اللائمون ، فلا يلقى إليهم بالا ، ولايعيرهم اهتماما ، يزعجونه بكلامهم ، فلا يزداد إلا عنادا وإصرارا على حبه حتى الموت ، يحاول دوما أن يخفى دموعه عن العاذلين .

العذول : شخص بغيض ، قاسى القلب ، جلف الطبع ، لايدرى ما الحب ولايعرف جمال المحبوب ،لاهم له إلا إلقاء اللوم على المحب الوامق ، يشى بالأسرار ، ويترقب اللقاء ، ويتسمع الحوار ، يصف المحبوب بصفات رديئة ، ويحاول أن ينقص من قدره أمام المحب ، لكنه يبتلى دائما بالفشل الذريع .

بهذه الشخوص الثلاثة ، يضاف إليها حادث اللقاء الذى يوقع الحب بين المحب والمحبوب ، تتكون نماذج الغزل عند السلطان الغورى فى قصائده ، لكنه قد يحذف من نموذج شيئا ، أو يعكس الترتيب أو يزيد بأن يدخل على الصورة الحمامة الباكية ، ليشاركها البكاء ، كل يبكى على حبيبته ، أو أن يجعل المحبوب يلين بدل الامتناع . كل هذا يجده القارئ فى شعر السلطان الغورى .

. . .

٢ — **الموضوع الدينى** : يقوم شعر السلطان الدينى على نماذج عليا هى الله (سبحانه) والنبى (ﷺ) والناس والشاعر والنعم .

فالله له الأسماء الحسنى يستخدمها الشاعر فى بناء القصيدة ، كل اسم حسب مقتضى الحال ، فهو المنعم الذى عمت أياديه الورى ، إذا تلفت الشاعر يمنة أو يسرة وجد خيرات الله كثيرة ، وهو الستار الذى يحفظ أسرار الإنسان حتى خطاياه ، وهو الرحيم الذى يحنو على الإنسان ، وهو العفو الغفور الذى يمحو السيآت ، وهو التواب الذى يتوب على التائبين ، وهو المعطى الذى منح الغورى ملك مصر ... الخ .

والنبى (ﷺ) رحيم ودود رءوف ، شفيع يوم القيامة ، وهو أول الخلق ، وهو أفضلهم أجمعين ، هدى الأمة إلى الخير ، وعلمها ما لم تكن تعلم ، كل ذلك عن طريق الوحى ، نور عم الورى ، صعد إلى السماوات العلا ، وصلى إماما بالأنبياء والرسل ، ووصل إلى النور فى الملكوت الأعلى عند سدرة المنتهى ، والصلاة والسلام عليه واجبة من كل مسلم ، يستجير به كل حيران ، ويتوسل به كل طالب حاجة ، فعليه وعلى آله الصلاة والسلام ... الخ .

الناس مختلفون ، قليلهم شاكر ، وكثيرهم كافر ، يضيع بعضهم عمره فى العبث واللهو والمجون ، وإذا ذكروا بالله ، لا يذكرون .

الشاعر : يحس نعم الله ، ويراها كثيرة ، وبخاصة أن الله آتاه ملك مصر دون قتال ، ووحد له الجند والرعية ، ويجد الشاعر نفسه مقصرا فى شكر الله ، فشكر الله فرض عين عليه ، فيجب أن يشكر ، لكن ذنوبه كثيرة ، هذا الإحساس بالذنب يجعله يقر دائما بعبوديته لله ، وأنه عبد من عبيده مؤمن ، يرتجى رحمة ربه ، ويخشى عذابه ، ويدعو ربه كثيرا أن يسامحه ويرى الملك ثقيلا عليه فيدعو الله أن يعينه عليه ، وأن يجمع له قلب الرعية ، إذ هى بيد الله ، لذا يفوض أمره إلى الله، كما يدعو اللهأن يحفظ عسكره وأمراء دولته ، ويدعو على المنافقين الذين يبطنون العداوة له والمعصية ، ويظهرون حبه وطاعته ،ويتوسل فى سبيل ذلك بالنبى الكريم (ﷺ) ويدعو ربه أن يسعده فى الآخرة بالنجاة من النار ، وأن يشفع فيه المصطفى ليدخل الجنة) ويختم دوما بالصلاة والسلام على النبى وآله واصحبه الكريم .

هذه صورة مستمدة من قصائد الشاعر الدينية ، والقارئ يراها موزعة عبر النصوص ، يضاف إلى ذلك قصيدته فى ليلة النصف من شعبان ، وفضلها العميم ، ووجوب الاهتمام بها ، والدعاء والعبادة فيها ... الخ .

٣ — المديح :

(أ) أطول قصيدة قالها السلطان هى رد على قصيدة مدح ابن فرفور له ، فى هذه القصيدة ، سرد السلطان ما صنعه ابن فرفور فى قصيدته المدحية ، وما تنبأ به للسلطان من نصر على الأعداء وتمكين فى الأرض ، واستبشار بأن العيد عود بالهناء ، ... الخ ما فى قصيدة ابن فرفور من أفكار ، ثم أثنى الغورى على هذه القصيدة ، فألفاظها فى نظره — در منضود ، وأفكارها أبكار — وروحها طيبة تنم عن إخلاص ، ثم رحب بابن فرفور فى مصر — دار ملكه — وأخبره أن سيجد غاية ما يؤمل ، وزيادة وأن السلطان سعيد بوجود مثل ابن فرفور فى دولته ، ومدح ابن

فرفور قاضى القضاة بما يليق بالعلماء من الأوصاف ، فهو حبر ، جليل القدر ، عامل بعلمه ، وهذا ما يجعل السلطان يكرمه ، ولايرجو منه سوى دعوة خالصة له يستجيبها الله (سبحانه)فيغفر ذنوبه ، ويسعده فى الآخرة، كما أسعده فى الدنيا . ويختم القصيدة بالصلاة والسلام على النبي الكريم كثيراً .

(ب) مدح النبى (ﷺ) : مدح الغورى النبي فى قصيدة ركبها تركيبة بديعة فقد وصف جسده الشريف ، فقوامه آسر ، وطرفه كحيل ، وخده وردى ، وقده أهيف ، وشعره أسود ، وخاله عنبر ... الخ . والملحوظة أن هذه الصورة هى الصورة المثلى فى عصر الغورى للمحبوب ، ما خلا بعض الصفات الأخرى التى لا تليق بجلال النبى (ﷺ) .

وصور نفسه (ﷺ) فهو رحيم محسن متعطف ، وهو أعلى الخلق وأشرفه ، وهو أول الخلق ، وهو نور ، أضاء العرش بنوره ، حتى لتخجل الشمس من نوره فتنكسف ، وهو عالى المقام ... الخ ...

وصور وظيفته ، وهى الهداية إلى الصراط المستقيم ، والتعليم ، والأمر بما يرضى الله ، والنهى عما يسخطه ، وإنصاف المظلوم ، والشفاعة يوم القيامة ، وأنه يجير المستجيرين به ، ويدعو الله لهم أن يغفر لهم ، فيستجيب الله له ، لأنه يحبه . وهو الذى يشفعه فى الناس ... الخ ...

ويختم الغورى مدحه للرسول بأن يجيره من عذاب النار ، ويصلى عليه ويسلم كثيرا ... الخ .

(ج) مدح أهل حب الله : هم أصحاب الكمال الإنسانى ، لقد عاينوا الجلال الإلهى ، وشاهدوا الجمال الربانى ، فاستولى عليهم ذلك النور ، فى الملكوت الإلهى ، فتنافسوا فى حبه ، ولم يقنعوا بشىء منه سوى طيب الوصال ، إنهم لم يطلبوا قرب الله لا خوفا من ناره ، ولاطمعا فى جنته ، بل قصدوا من القرب وجهه الكريم ، الذى ليس كمثله شىء ، وهذا حال الصب المخلص .

بهم يتوسل الغورى أن يستجيب له ربه ، ويتولاه ، لقد آتاه ملك مصر ، ولكنه خاشع خاضع لله رب العالمين الذى ليس له رب سواه ، وبهذا لايعير غيره انتباها ، وهو يستغيث برسول الله (ﷺ) فى هذه الدنيا والآخرة ، ويختم بالصلاة والسلام على رسول الله (ﷺ) ... إلخ

٤ — التصوف :

(١) خمر الصالحين : على طريق القوم فى استخدام الرمز الدنيوى ، تعبيراً عمايشعرون به من لذة ، استعمل الغورى الخمر رمزا للذة الروحية؛ ومجلس الخمر يتكون من الساقى والندامى أو الشرب والخمر وكاساتها ، واللذة التى تحدث عن الاحتساء ، إن الساقى فتى جميل المحيا ؛ بديع الطلعة، كالبدر ليلة التمام ، حديثه عذب ، وريقه شهد ، وعيناه ساحرتان ، إنه مصدر متعة لمن يحس الجمال ، وهو يحمل الخمر ، تلك الخمر التى تذهب الهم والحزن ، وتحيل البخيل كريما ، والتعيس مسرورا ، والشقى سعيدا، والساقى هنا هو رمز للآخذ بيد المريد إلى الحضرة الإلهية ، والخمر رمز للنشوة الناشئة عن القرب من الله الكريم ، لكن سرعان مايتحدد هذا الرمز عند الغورى ، فيفقد بذلك إيحاءه ، ويتحدد تحددا إشاريا ، فهو قد نفى عن هذه الخمر التى هى رمز للنشوة ، نفى عنها أن تكون عصير عنب، أو أن تنالها يد العصار ، أو أن تختزن فى دير ، أو أن تتولاها يد الرهبان بالعناية ، كما نفى عنها الجرمية والنوعية والجنسية ، ثم حددها بأنها الروح والراحة ، تذاق وتدرك ، ولاتوصف ، ولاتراها العين من لطفها ، تقدست عن الظنون التى تتعلق بالحس ، ضاقت على أهل الفصاحة سبل وصفها ، إنها نور تتوق النفس إليه باستمرار ، بالسعادة من أدركها بذوقه!! إنها أفضل من كرسى الملك الذى يجلس عليه الغورى ، ولاينبئك مثل خبير . شمل عرفها الآفاق . ثم يتوق الغورى إليها ، لعله يظفر منها بنهلة تروى ظمأه، إنه لما أحسها نظم فيها أرق شعره ، شعره فيها يحلو تكريره — كما يرى— وتعذب ألفاظه ، ويعلق بالنفس ، ويحفظ كالدرس . إن الغورى يسأل الله أن يزيده منها ، ويختم بالصلاة والسلام على رسول الله (ﷺ) ... إلخ .

(ب) القرب من الله (سبحانه) : يتكلم الغورى على طريقة الصوفية ، عن الوصول إلى الله ، وعن الأحبة فى الله ، وأن منتهى السعادة فى ذلك، وهو يتوسل بهؤلاء القوم ويتشفع بهم إليهم أن يجعلوه فى حضرتهم النورانية وأن لا يصدوه عنها بسبب خطئه ، فالعفو من شيم الصالحين ، وإن المحبوب الأعظم عفو يحب العفو. إنه يتوسل إليهم أن يجودوا عليه بطيب الوصال . إنه كلف بحبهم وجمالهم . ويتساءل هل سيفوز بقربهم يوما أولا ؟ ولعل الخطاب بالجمع هنا يعود على الذات العلية ، كما هو حال الصوفية ، وليس إلى جمع من الصالحين ، فهذا احتمال من احتمالات فهم النص الصوفى . ويدير الغورى وجهه بعيدا عن عاذله فى حبه لأهل الجمال والجلال . ثم يقول له ، وماذا يفيد اللوم من لا يسمع ؟! فليرعووا .

٥ — **الهجاء الاجتماعى** : نقد الغورى قطاعا من المجتمع هو طائفة الفقهاء المرائين ، ويقوم نقده لهم على مفارقة فى الصورة ، فهم يهتمون بالشكل الخارجى دون المضمون ، ترى ثيابهم بيضاء، وأكمامهم طويلة، ومناكبهم معقودة ، وأصواتهم عالية ، يتجادلون فى جزئيات لاقيمة لها ، وإن كان لها قيمة ، فهى لا تساوى عناء الجدل ، إن قال أحدهم فى حل المسألة : كذا يقول الآخر : لا ، بل كذا ، ثم يتدخل الثالث قائلا : لانرى هذا، والرابع يقول : لا نسلم بهذا ، وهكذا حتى يشعروا العامة أنهم علماء ، وماهم من العلماء ، ولا من العاملين ، لقد هجروا العلم ، وتركوا المعلم ، واسودت قلوبهم ، وانطفأ نورها نتيجة مرائهم ، وعدم عملهم بعلمهم ،لقد قست قلوبهم ، فلم يتورعوا عن ارتكاب الموبقات ، وأكل الحرام الذى رمز له الشاعر بأكل الوقف، ثم حذر الشاعر الناس من مثل هؤلاء الفقهاء ، وأمر الذى يرى أحدهم أن يستعيذ بالله من هذا الشيطان ، شيطان الإنس . إنها صورة بديعة على الرغم من بساطتها .

٦ — خمر الدنيا : صورة متوارثة ، تلقفها الخلف عن السلف من الشعراء ، فمجلس الخمر ينعقد ليلا ، ويدور الساقى بالخمر ، التى تفعل

فعلها فى الشاربين ، فتبدل أحوالهم من التعاسة إلى الهناء،وهى رقيقة كالنور ، رائحتها ذكية ، تلمع بالليل البهيم ، من لم يغب بها سكراً ، فاته خير كثير ، إنها فى نظر الغورى أفضل من ملك مصر كله ، الملك يتعبه ، وهى تريحه فشتان ما بين الأثرين . يكفيه حبها ، وحب نداماها الذين لانجد فيهم من ينغص الحياة ،إن الشاعر متأثر بها وقال فيها شعراً جميلا– من وجهه نظره .. الخ .

بهذا ينتهى درس موضوعاته دراسة سريعة وموجزة حسب مايستدعيه المجال ، ويبقى قطعتان منظومتان،إحداهما فى ترتيب قص الأظافر ،والأخرى فى أيام القص ، وهذا بلاشك ليس من الشعر فى شىء .

أما تصوير الشاعر ، فيغلب عليه التجريد فى الأساوب ، وهو غالباً أسلوب عادى ، ليس فيه ظواهر تستدعى الوقوف أمامها كثيراً ، وهذا نتيجة الضعف اللغوى الذى ساد العصر المملوكى ،ونتيجة ضعف الغورى أيضاً فى لغة العرب ، حتى إن لغته لتقترب من العامية كثيرا ، وأن اللحن يقع فى بعضها ، وكثير من نظمه أو شعره يقترب من النثر بل إن هناك بعض النثر أجود من شعره ، ولكن الجدير بالذكر أنه إنتاج تركى تعلم العربية ونظم بها ، ومع ذلك فقد بلغ فى بعض شعره درجة عالية من الفنية .

أما **الاوزان** التى استعملها الشاعر فهى : ١ – الطويل . ٢ – البسيط. ٣ – الكامل. ٤ – الرمل. ٥ – الوافر . ٦ – السريع . ٧ – المتدارك .

وحروف **الروى** التى استعملها هى : ١ – الهمزة. ٢ – الباء . ٣ – التاء . ٤ – الدال. ٥ – الراء . ٦ – السين . ٧ – العين . ٨ – الفاء . ٩ – القاف . ١٠ – الكاف. ١١ – اللام. ١٢ – الميم. ١٣ – النون . ١٤ – الهاء . ١٥ – الواو .

وكان يتغنى ببعض قصائده ، كما كان يتغنى بموشحانه ، يتضح هذا من وجود المقام الموسيقى فوق هذه القصائد والموشحات .

موشحات السلطان الغورى

عددها إحدى وعشرون موشحة ، وكلها بسيطة التركيب ، يسيرة الأفكار ، تدور حول غرض واحد هو الغرض الدينى ،إنها ابتهالات دينية ، دعوات واستغفار ، وطلب الرحمة ، ولا يوجد بها من أفكار الدنيا سوى فكرة أن السلطان ظل الله فى الأرض فى الموشح الأول ،وفى بعض الموشحات بعض الأفكار الصوفية كفكرة الفناء فى ذات الله .

وهى من حيث الشكل الفنى أقرب إلى المسمطات منها إلى الموشحات ، وكلها من النوع الأقرع ، أى الذى يبدأ بالدور مباشرة ، ما عدا الموشح رقم ١٤ فإنه تام ، أى بادئ بالقفل ، وهو مكون من ستة أقفال ،وخمسة أدوار ، وفى أفكار مختلفة عن بقية الموشحات ، إنه فى الغزل ، يتكلم عن المحبوب ، ومدى حبه له ، وعن الوشاة والعاذلين ،وعدم استطاعته النوم ، كما هى الصورة الموروثة ، غاية الأمر أن التجديد موسيقى فحسب .

يتراوح عدد الأقفال والأدوار ما بين أربعة وتسعة ، والأقفال من جزء واحد ، وكذا الدور ثلاثة أجزاء من فقرة واحدة لايستثنى من ذلك إلا الموشح رقم ١٤ فإن القفل مكون من جزئين مكونين من أربع فقر ، والدور مكون من ثلاثة أجزاء ، كل جزء من فقرتين .

كانت موشحاته يغنى بها فى مجلسه ، بدليل وجود مقاماتها الموسيقية على رءوسها. والنغمات المستعملة فيها هى : ١ـ التشاورك . ٢ـ الحسينى . ٣ ـ الحجر . ٤ ـ المصرية . ٥ـ العشاق العجم . ٦ ـ الأبوسليك . ٧ ـ القاهرية . ٨ ـ العراق . ٩ ـ الروضة . ١٠ ـ الغزل . ١١ ـ الكردانية . ١٢ ـ النوى . ١٣ ـ النيريز .

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات .

قافية الهمزة : [البسيط]

* فى لام خدك ذال (للهوى) ياء
يا من لا له لام ولا باء
وحاربونى فمذ لاحت لأعينهم
واو من الصدغ يحلو عطفها فاء
قالوا سل عنه أما شاهدت عارضه
فى الخد أخضر قلت : النفس خضراء
جاءوا يلوموننى سرا بجهلهم
عن الحبيب ، فراحوا مثلما جاءوا
فكيف يقبل منهم عاشق عذلا
والعاذلون لأهل العشق أعداء
تخشى عذولا أطال اللوم فى قمرى
فإنه عند أهل العشق إغواء
من لى بأهيف سحار اللحاظ له
ميل إلى تلف المضنى إيماء
للغصن فى الروض تطراق إليه كما
للنرجس الغض من جفنيه اغضاء
وفى محياه ان قابلت طلعه
نار وماء ولا نار ولا ماء
للزمان اندراج فى محاسنه
فالثغر والشعر إصباح وإمساء

---

* هذا البيت مكسور لو ظل كما هو فى المخطوط . فالموجود بالمخطوط ما يلى :
فى لام خدك ذال الهوى ياء يامن لا له لام ولا باء
والصحيح ما أثبته .
والشطر الثانى الأفضل أن يكون (يا من ليس له لام ولا باء)
وما يزال معنى الشطر الأول غير مفهوم بالتمام ، وربما لو كانت (ذال) (واو) تتركب من الحرفين و + ى = وى للتعجب .

عشاق عينيه يرميهم بسهمهما
فما يصيبهم إلا بما شاءوا(١)

ساجى اللواحظ لولا سحر مقلته
ما كان لى بثبات السقم اجفاء

وسنان قلت أشكو له سهدى
يا ناعس الطرف ما للعين اغفاء

انظر إلى بعين قد قتلت بها
وداونى بالتى كانت هى الداء (٢)

أنهى له قصة الشكوى معنة
لو كان يسمع للمظلوم انهاء

ان كان فى النار قلبى من تباعده
فوجهه جنة والعين حوراء

(بقاف)(٣) أقسم لولا نور حاجبه
لم تبق صاد ولاباء ولا راء

نعم ولولا معانى ابن الشهيد(٤) تمت
لم يحل ميم ولا دال ولا حاء

* * *

---

(١) الشطر الثانى شطر بيت لأبى نواس بألفاظه الديوان .
دارات على فتيه دار الزمان بهم   فما يصيبهم إلا بما شاءوا
(٢) شطر بيت شعر أبى نواس . ديوانه   وهذا يسمى التضمين
وكان يومئذ شائعاً وعد لونا بلاغيا
(٣) أى بسورة (ق) ...
(٤) علم لم اهتد إلى تحقيقه .

قافية الباء [مجزوء الرمل]

من النهفت (١) :

جل مولانا تعالى	جل علام الغيوب
أشرقت شمس هداه	فأنارت فى القلوب
لم تمل ان شاء عنها	لزوال وغروب
كم محت من ظلمات	هى آثار الذنوب
وجلت عنا غموما	غمرتنا بالكروب
مع حلم مع صفح	مع ستر للعيوب
مع كون العبد يعصى	وإلى الذنب يؤوب
يجعل التوبة وعداً	وهو فى الوعد كذوب
يقبل العبد ويعفو	عنه ما دام يتوب
يرتجى الغورى منه	صفوه مما يشوب
يسأل الرحمن عفوا	عنه يمحو كل حوب
ما تولى الملك إلا	سلما لا بالحروب
وعلى الملك قلوب	لجماعات تـلوب
فعلى الغورى شكر	فرض عين فى الوجوب
شكره ذكر إله	هو يكفيه الخطوب
قلبه منه حياء	كاد فى الصدر يذوب
وعلى المختار صلى	كلما هبت جنوب
وعلى آل وصحب	ما همى غيث يصوب
لا إله إلا الله	محمد رسول الله (٢)
أنت يا مولى الموالى	أنت علام الغيوب
أنت كشاف الكروب	أنت ستار العيوب)

---

(١) هى مقام من المقامات الموسيقية ، وهذه القصيدة كان يغنى بها فى هذا المقام .

(٢) زيادة بالأزهر (ما بين المعقوفين) .

قافيـــة التاء [الكامل]

لله فى أيامنا نفحات من دهرنا تزكو بها الأوقات
فيها تجاب فتعرضوا وتضرعوا فيها تجاب لكم بها الدعوات
هذى مواسمها لنا قد أقبلت ودنا بموعدها لنا ميقات
فبفضل شعبان وليلة نصفه يروى الأحاديث الصحاح ثقات
وبفضل ليلة نصفه قد فسرت فى الذكر من تنزيله آيات
إذ قيل : يفرق كل أمر محكم فيها، وفيها تسقط الورقات(١)
هى ليلة فيها على أهل الهدى وبقلوبهم قد حفت الطاعات
هى ليلة مازال محتفلا بها مذ قام دين المصطفى السادات
هى ليلة هجروا مضاجعهم بها مما تقام بجنحها الصلوات
هى ليلة يتوقع الداعى بها لله أن تقضى له الحاجات
يا ربنا فيها تقبل دعـــوة لى منك فيها تشمل الخيرات
أصلح لى الملك الذى قد قلدتنى وصلاحه أن تسعد الحركات
وتدر أرزاق الرعية فيه فى أمن، وفيها تنزل البركات
واجمع قلوب عساكرى جمعاً به تصفو وتصلح منهم النيات
وجميع من فى قلبه غش لنا فيه تحيط من الردى هلكات
وانصر وأيد من جنودى من له حزم وعزم صادق وثبات
واحفظ لى الأمرا وانصرهم فهم فى الملك أركان له وحماة
وانظر لهم واشملهم بعناية وسعادة تعلو بها الدرجات
لا سيما أركان دولتنا ففى وجه الزمان وجودهم حسنات
ولعبدك(٢) الغورى فانظر نظرة منها يضىء بقلبه مشكاة
وبها ينال مناه منك جميعه وبها تفيض عليه منك هبات
وعلى النبى وآله مع صحبه أبدا سلام دائم وصلاة
ما دامت الأفلاك دائرة بها فترادف الأوقات والساعات

---

(١) اى الأرواح والأعمار

(٢) فى المخطوط (وبعبدك).

قال نجم الدين الغزى: « أحمد بن محمود بن عبد الله بن مخمود قاضى القضاة العلامة شهاب الدين أبو العباس الشهير بابن الفرفور الدمشقى الشافعى ، ولد فى نصف شوال سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة، ...،وكان له شعر متوسط ، منه ما قرأت بخط الشيخ شمس الدين بن طولون فى تاريخه ، ونقلته من خطه أيضاً ، قال أنشدنا قاضى القضاة ولى الدين بن الفرفور لوالده قاضى القضاة بمصر والشام الشهابى بن الفرفور يمدح سلطان مصر الأشرف قانصوه الغورى ، فقال فى العشر الأخير من جمادى الأولى سنه ثمان وتسعمائة : [الطويل]

١ - لك الملك بالفتح المبين مخلد
لأنك بالنصر العزيز مؤيد

٢ - وأنت العزيز الظاهر الكامل الذى
هو الأشرف الغورى وهو المسدد

٣ - تملكته والسيف كاللحظ هاجع
بأجفانه والرمح هاد ممدد

٤ - بأمن ولاخوف وسلم ولاوغى
ولكنه عيد لعود يؤبد

٥ - فملكك يوم العيد جاء مبشرا
بعود سرور كل عام يجدد

٦ - ولم تك يوما ساعيا طالبا له
ولكنه وافاك يسعى ويجهد

٧ - تقلدته من مالك الملك راضيا
بما قد أراك الله تثنى وتحمد

٨ - وكان لك الله المهيمن حافظا
يعينك فى كل الأمور ويسعد

٩ - وكم فئة لابت عليهم قلوبهم
ولكن إليه لم تطل منهم يد

١٠ — ومن عاند المقدور منه فقد قضى

وكان له من منهل الهلك مورد

١١ — فبشرى بتمكين من الله دائم

ونصر على الباغى ومن كان يحسد

١٢ — لقد شاع فى الأسماع ما قد حويت من

صفات بها منك الكمال مؤكد

١٣ — ففى السلم حلم فيه كالماء رقة

وفى الحرب نار جمرها يتوقد

١٤ — لأنك حامى حومة الدين بالظبا

وللسيف خـد بالدماء مورد

١٥ — بذلك شم الراسيات بعسكر

إذا سار ضاهاه الجراد المبدد

١٦ — وإن دخلوا دارا لأعداك أقفرت

وإن وردوا بحرا يجف وينفذ

١٧ — وقد ساقنا ما شاقنا من سماعها

محسا نراها بالعيان ونشهد

١٨ — وكان الذى قد شاهدته عيوننا

بأضعاف ما قال الرواة وعددوا

١٩ — فتجلس فى التخت الشريف بطلعة

بها تدهش الأبصار إذ تتردد

٢٠ — يدبر أمر الملك منك روية

يربك بها الله الصواب فترشد

٢١ — وتجلس فى الشورى مع الأمراء فى

نهارك للملك الشريف تمهد

٢٢ — وتستقبل الأذكار بالليل ساهرا

بترتيب أوراد بها تتعبد

٢٣ – فتستغرق الوقتين حكما وحكمة
فتجهد أما فى الدجى تهجد
٢٤ – كما قد رأينا الحال ليلة مولد
فياحبذا ذكر وورد ومورد
٢٥ – وياحبذا لحن عن اللطف معرب
ونظم بديع فهو در منضد
٢٦ – فذكر وتسبيح وتمجيد خالق
وتقديسه لا لغو فيه ولا دد
٢٧ – فهذا هو الذكر الجميل الذى غدا
على طول هذا الدهر يروى ويسند
٢٨ – فللخلفاء الراشدين بمثل ذا
مآثر تروى عنهم ليس تجحد
٢٩ – ونعم المماليك الذين تعلموا
وقد لازموا الأوراد حتى تعودوا
٣٠ – مزامير داوود وإلا بلابل
وورق وكل كالغزال يغرد
٣١ – وأطربنا فى المجلس الشيخ حيدر (١)
فطبنا وقلنا إنما هو معبد
٣٢ – وجانم فى الإيقاع تحريك عضوه
على الوزن فى أمثاله ليس يوجد
٣٣ – ومنه لنعمان سمعنا قراءة
بها كل مسموع سوى الذكر يزهد
٣٤ – فألحانهم فخرلهم وسعادة
وخير وفضل وارتقاء وسؤدد
٣٥ – فلله أو فى الحمد نلنا مرادنا
وفزنا بما كنا نروم ونقصد

---

(١) من مطربى السلطان الغورى

٣٦ ـ وقد شاهدت سلطاننا قدحوى
صفات كمال مثلها ليس يوجد

٣٧ ـ محب لأهل العلم والفضل والتقى! .
بحيث إليهم دائما يتودد

٣٨ ـ ويسأل فى العلم الشريف مسائلا
تعز على درك الفهوم وتبعد

٣٩ ـ كذا أولياء الله أيضا يحبهم
ويدعولهم فى ورده ويمجد

٤٠ ـ ومولد خير الخلق أحراه عادة
بها كل خير دائما يتولد

٤١ ـ فبا لأشرف الغورى يطوى حديث من
بأخبارهم كم جاء سفر مجلد

٤٢ ـ فأقسم لا يسعى إليه مشقة
ولا سفرة أدت لرؤياه تبعد

٤٣ ـ وقد حاز أنواع المحاسن كلها
كمالا وفضلا فهو فى الدهر مفرد

٤٤ ـ فدام له النجل السعيد ممتعا
بما يرتضى والعيش أصفى وأرغد

٤٥ ـ وقرت به عيناه طول زمانه
على درجات العز يرقى ويصعد

٤٦ ـ ولا زال فى عز ونصر وملكه
على رغم أنف الحاسدين مخلد

٤٧ ـ وألف صلاة مع سلام تصاعدت
يلقاهما خير الأنام محمد

فلما وقف عليها السلطان الغورى ابتهج بها وقرأها بنفسه على من حضر وكافأه عنها بقصيدة من نظمة وجهزها إليه ، وهى : [الطويل]

أجادلنا القاضى ابن فرفور أحمد
مديحا به أثنى عليه وأحمد
شهاب لدين الله والشمس باهر
مناقبه مشهورة ليس تجحد
وقاضى قضاة الشام جاء يزورنا
ويثبت دعوى حبنا ويؤكد
ويهدى لنا منه الدعاء فمرحبا
به زائراً للأنس جاء يجدد
له عندنا الإكرام والعز والرضا
وفوق الذى من غيرنا كان يعهد
ولما تأملنا بديع بيانه
وحسن معانى نظمه حين ينشد
وجدنا قصيدا كل بيت به غدا
يرى أنه فى الحسن قصر مشيد
بلاغتها كالسحر وهى فصيحة
وألفاظها الدر النفيس المنضد
وبشرنا فيها بتمكين ملكنا
وأنا بنصر الله فيه نؤيد
لأن إلينا مالك الملك ساقه
بحيث أتانا وهو يسعى ويجهد
ولاحظ أن العيد عود تفاؤلا
لنا بسرور عوده يتأبد

وأنا بعون الله نقهر ضدنا
ومن قد بغى جهلا ومن كان يحسد
وترجم عنا فى الحماسة والوغى
بأبلغ ما فى مثل ذلك يقصد
ووصف الذى قد كان ليلة مولد
عبارنه فيها لجين وعسجد
ففيها قد استوفى الوقائع كلها
بنظم به الذكر الجميل مخلد
وعدد أوصافا لنا فى مديحه
بأحسن لفظ فى المدائح يورد
وقد سرنا فى ملكنا أن مثله
لما فيه من جمع الكمالات يوجد
إمام كبير فى العلوم وقد حوى
محاسن فى أوصافه تتعدد
سخاء وجودا ، عفة ونزاهة
وفخر على أهل الزمان وسودد
ويحمل كل الكل إن كان حادث
وإن جل خطب أو تكدر مورد
فهذا به فى الحكم تبرأ ذمة
وهذا له فضل القضاء يقلد
وهذا به استدراك ما اختل كله
وهذا به إصلاح ما كان يفسد
فأهلا وسهلا مرحبا لقدومه
له عندنا أعلى مقام وأحمد
وسوف يرى من قربنا ما يسره
ونطرد عنه كل سوء ونبعد

بحيث تقر العين منه ولا يرى
من الدهر فى أيامنا ما ينكد

ونسعفه فى كل ما قد أهمه
ونبسط فى حكم لديه ونعضد

ويبلغ فى أيامنا غاية المنى
ويأتيه أحلى العيش فيها وأرغد

فإنا رغبنا منه فى صالح الدعا
ولا سيما فى الليل إذ يتهجد

فناظمها الغورى غاية قصده
دعاء له من مخلص القلب يصعد

بعفو وغفران وحسن عواقب
وخاتمة بالخير وهو يوحد

وبالحشر مع من أنعم الله بالهدى
عليهم ومن من نوره النار تخمد

وبعد صلاة من إلهى دائما
على المصطفى وهو النبى محمد

وآل وصحب كلما هبت الصبا
وناح على الأفنان طير مغرد

قلت ، ولا شك أن القصيدة الثانية أقرب من الأولى إلى الحسن والرقة ، وبين القصيدتين فرق ظاهر ، . . . ، وكانت وفاة قاضى القضاة شهاب الدين بالقاهرة فى سابع جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وتسعمائة ...

انظر ترجمه أحمد الفرفورى فى كتاب (الكواكب السائرة ، بأعيان المئة العاشرة) الشيخ نجم الدين الغزى صـ ١ ص ١٤١ تحقيق جبرائيل جبور ط / المطبعة الأميركية – بيروت ١٩٤٥ م .

قافية الراء :

فى ترتيب قص الأظافر [كامل]

الخنصر الوسطى بهام بنصر سبابة ترتيب يمنى يؤثر
وأختها إبهام وسطى خنصر سبابة وبعد ذاك بنصر

قافية السين : [بحر الطويل]

حلا القوم فى حضرة الأنس
فلاحت وجنة فى وجنة الشمس(١)

وهامت بمن تهوى وفاز بوصلها
بغير رقيب العقل أو حاسد النفس

ولما سرت فى سرهم بسروها
تطهرت الأرواح من دنس الرجس

صفت فصفوا حين اصطفاهم حبيبهم
لمشربها قبل التعين للغرس

فما هى من حبات عنقود كرمة
تخامرها بالعصر يوما يد النفس

ولا اختزنت فى دن دير ولم يكن
ولاية رهبان عليها ولا قس

ولكنها الراح التى هى روح من
تناهى بها محيي الفنا إلى الطمس

ولا هى جسم قام من جر عنصر
ولا هى من نوع ولاهى من جنس

وليست تراها العين لطفا وإنما
تذاق بلا طعم وتعلو على اللمس

ولكنها نور لطيف فسرها
تقدس عن وهم تعلق بالحس

فتشتاقه الأرواح والنور ساطع
وفى وصفها أهل الفصاحة كالخرس

فطوبى لمن قد شام لامع برقها
فإن سناها قد محا ظلمة النفس

---

(١) البيت بهذه الصورة مكسور ، ولعل صحته ما يلى :

حلا الكاس للقوم فى حضرة الأنس فلاحت بوجنة كوجنة شمس

ويعبق فى الأكوان من طيب نشرها
عبير به تخفى الروائح فى الرمس
عسى يظفر الغورى منها بنهلة
تكون له أشهى من الملك والكرسى
ويكفيه منها صدق حب لأهلها
وشعر له فيها يدون بالنفس
ومن حظه فى شعره أن شعره
تكرره يحلو ، فيحفظ كالدرس
ويعذب فى الأسماع من در لفظه
ويجرى به ريق المدام على الطرس
فهذا له حق يميزه على
جميع ملوك العرب والترك والفرس
فيارب زده منك فضلا ونعمة
وكل غد يلقاه خير من الأمس
وصل رب على البشير مسلما
وآل وصحب حين نصبح أو نمسى

قافية العين : [بحر الكامل]

أجفانه من سهره تتوجع ... صب يموت وعينه تتطلع
وحياة ناظرك الهنا(١) بالكرى ... لم يبق لى فى النوم بعدك مطمع
خضبت عينى بالدموع وبالبكا ... والنوم ليس له هناك موضع
ومدامعى تمشى وتوقف تارة ... خوفاً لما قال الوشاة وشنعوا
فانظر لعينى وهى تبكى رحمة ... فعسى يسرك نيلها المتقطع
وإذا شكوت تقول لى(٢)أقرانه ... خفض عليك فإنها لا تسمع
فأكرر الشكوى مطالعة عس ... يدرى وأعلم أنها لا تنفع
وأقول للورقاء هبى والأسى ... نبكى على غصن النقا ونرجع
والدمع يطرح نفسه ذلا على ... قدميه وهو السائل المتخضع
لا كان يوم البين وهو يقول لى ... أتراك بعدى فى حياتك تطمع
يا راحلا لم يبق لى من بعده ... إلا الصبابة والبكا والأدمع
سر فى أمان الله بين جوانحى ... ولك البقاء فإننى لا أرجع

---

(١) زيادة يقتضيها الوزن .

(٢) زيادة يقتضيها الوزن .

قافية العين : [بحر الكامل]

بكم إليكم سادتى أتشفع فعساكم بعد الهوى أن ترجعوا
إن كان غيرى بالوصال ممتعا(١) فأنا الذى بحياتكم أتقنع
أو كان ذنبى صدنى عن بابكم جهلا فعفوكم أجل وأوسع
جودوا بطيب وصالكم لميتم فى كل وقت بالوصال يروع
عطفا على صب كئيب مغرم حلف(٢) السهاد أخا القطيعة توجع
ولقد كلفت بحبكم وجمالكم قدما وإنى بالجمال مولع
ياهل عسى يوما أفوز بقربكم إن كان يسعدنى عسى أو ينفع
يا من يلوم أخا الجمال جهالة ماذ يفيد اللوم من لا يسمع

---

(١) فى المخطوط (ممتع) وهو خطأ

(٢) فى المخطوط (خلف وأظن الصواب ما أثبت).

قافية الفاء : [بحر الطويل]

[بواو بخديك الشريفين أحلف] (١)
بأنك أعلى الخلق [طرا](٢) وأشرف

وأنك قبل الخلق والرسل أول
وأنك بعد الحق فى النعت توصف

وأنك للدين القويم هديتنا
وعرفتنا ما لم نكن قط نعرف

هدانا إلى الإسلام فخرا ومنة
وألزمنا فرضا علينا مكلف

وأقرن فى التوحيد إسمك باسمه
فأنت مع الإسلام الشريف مشرف

مقامك محمود وأنت محمد
وقدرك مرفوع وذاتك ألطف

قوامك فتان وطرفك أدعج
وخدك وردى وقدك أهيف

وشعرك زنجى ، وخالك عنبر
وخدك منه الورد يجنى ويقطف

وصدرك مملوء من العلم والحيا
وأنت رحيم محسن متعطف

ودست بساط النور والنور ساطع
وأعطيت من فخر النبوة رفرف

---

(١) كتب هكذا فى المخطوط : بواوين خديك الشريفان أحلف
وأعتقد أن الصواب هو ما أثبته .
(٢) زيادة اقتضاها الوزن الموسيقى .

بنورك ضاء العرش والأرض والسما
وشمس الضحى من نور وجهك تكسف

وصليت فى جمع السماوات كلهم
إماما ورسل الله خلفك صُففُ

ألا يا رسول الله يا خير مرسل
أتيت بأمر الله تقضى وتنصف

وياشافعا فى الخلق وقت معادهم
إذا زلت الأقدام والنار تزحف

أجرنا من النيران يا أشرف الورى
فذنبي عظيم والجوارح ترجف

عليك صلاة الله يا خير خلقه
صلاة تفوق الخلق ثم تضاعف

قافيـــة القاف [بحر الطويل]

جلا كاسها والليل داج فأشرقا
وشق سناها فيه للصبح مشرقا
وأبدت لنا شمسا وبدرا وأنجما
ونور هلال دون شك تحققا
ورقت وراقت فهى روح وراحنا
ونور ولا نار وإن كان أحرقا
سرى سرها فى الراح قدما فعرفها
له نفحات أسكرت من تنشقا
لقد خفيت لطفا عن الغير أن ترى
سوى بارق منها غدا متألقا
مسرة نفس ما تجمع همهـــا
وهمت بـــه للوهم إلا تفرقا
فتشرح صدرا قد غدا متجرحاً
وتفرح قلبا حسنه متحرقا
وللحسن منها إن سرت فيه رونق
كأن به ماء الحياة ترقرقا
شفاء الحياة أمن من الضنى
خلاص الآلام تغنى عن الرقى
وتصلح ما قد كان فى الحال فاسدا
وتفتح ما قد كان من قبل أغلقا
فمن لم ينل منها نصيبا فإنه
وإن عد من أهل السعادة فى شقا
ومن لم يغب سكرا بها عن وجوده
ويفنى فلا يحظى بحظ من البقا

ومن ذاقها طابت حقيقا حياته
وصار بها من سائر الناس أذوقا

وقد شهد الغورى فى تخت ملكه
لها أنها أعلى من الملك مرتقى

ويشهد أيضا أنها قد تقدست
من الإثم بل فى شربها عنده اللقا

فأبدع نظما فى معانى صفاتها
يفوق عقودا زانها الدر نسقا

وما قال فيها غير حق ، وكل ذا
فمن بعض ما فيها ومن ذاق صدقا

ويكفيه منها حظ صادق حبها
وحب نداماها وهم حبه التقا

فيصبح فى أوصافهم متغزلا
ويضحى إليهم مستهاما وينسقا

قافية القاف : [بحر الكامل]

كيف الضلال وصبح وجهك مشرق
وشذاك فى الأكوان مسك يعبق
يامن إذا سفرت محاسن وجهه
ظلت به حدق الحدائق تحدق
وإذا العزول رأى جمالك قال لى
عجبا لقلبك كيف لا يتحرق
يا أسى قلب دمعه يتدفق
والنوم منه مطلق ومطلق
لم تترك الأتراك بعد جمالها
حسنا لمخلوق سواها تخلق
إن نوزلوا كانوا أسود عريكة
أو غوزلوا كانوا بدورا أشرقوا
جذبوا الفتى إلى قسى حواجب
من تحتها نبل اللواحظ أرشقوا
نشروا(١) الشعور فكل قد منهم
لدن عليه من المهابة صنجق
لى منهم رشأ إذا قابلته
كادت لواحظ سحره أن تنطق
عانقته وضممته فكأنه
من ساعدى مطوق وممنطق

(١) فى الأصل نثروا ، وأعتقد أن الصواب ما أثبته .

قافية الكاف [بحر البسيط]

فى قص الأظفار

فى قص الاظفار يوم السبت آكله
تبدو وفيما يليه تذهب البركة
وعالم فاضل يبدو يتلوهما
وإن يكن فى ثلاثى فاحذر الهلكة
ويورث السوء فى الأخلاق أربعها
وفى الخميس الهدى يأتى لمن سلكه
والعلم والمال زيدا فى عروبتها (١)
عن النبى رويناه فاقتفوا نسكه

(١) يوم عروبة = يوم الجمعة :

قافية اللام : [بحر الطويل]

شربنا وساقينا من البدر أجمل
مداما بها عنا المكاره ترحل
هى الشمس تجلى والحباب كواكب
يدور بها بدر منير مكمل
قديمة عهد قد صفت وطغت
بها سكرت أرواحنا قبل تسبل
مدامة توحيد بكاسات ذكرها
على القلب أسرار اللطائف تنزل
فيغنى بها سكرا حبيب متيم
وتحيي بطيب الوصل والسعد مقبل
فأرواحنا هامت سروراً بسرها
وأشباحنا فى جنة الشعر تدخل
ولو ذاقها يوما عبوس(١) مقطب
لكان ببشر وجهه يتهلل
ولو أن ذا شح على الماء ذاقها
لعاد سخيا بالذى كان يبخل
وقد سألونى وصفها فأجبتهم
بوصف خبير وهو فى القول مجمل
من الملك أشهى وهو أحلى حقيقة
وغيرى منه قول ذا ليس يقبل
حياة سرور راح أنسى قداحه
بها قد صفا للنفس عيش ومنهل

---

(١) فى الأصل عبوساً مقطباً ، والصواب – فيما أعتقد ما أثبته ، لأن « عبوس » فاعل « ذاق » ومقطب صفة مرفوعة .

ويسكر أهل الحى منها عبيرها
إذا أنفحت فيه كما فاح مندل
فهل أسكرتنا أم سكرنا بلحظ من
سقاها ، وسكران الهوى ليس يعقل
بنا فعلت ألفاظه ولحاظه
ومرشفه العذب الشهى المقبل
بطلعة حسن تخجل الشمس فى الضحى
ومن خده الورد المصرح يخجل
ولو لم يكن فى مرشفيه مزاجها
لما كان منها السكر للصب يشمل
ولولا شمول السكر ما كان مسكر
من القول ما عن باعث الحب يرسل
فأبدعت نظما قد حكى در نظمه
به فيه أو فى راحه أتغزل
فالنفس للغورى فى النفس نشوة
بما فيه من سكرة الشرب يحصل
بريقه(١) كم ناصب الراح موردا
فكم عاشق مضنى به يتعلل
بديعُ معانيه بحسن بيانه
به شرح وجدى مجمل ومفصل
فلله رب الحمد والشكر والثنا
إله علينا لم يزل يتفضل
وصل بتسليم على خير مرسل
به يصل الراجى إلى ما يؤمل
وآل وأصحاب كرام وكثرة
بلا غاية مادامت السحب تهمل

---

(١) فى الأصل : برقيه ، وأظن الصواب ما أثبته .

من نغم الكردانية [الوافر]

أيا من جفنه سهر الليالى وقلب عن فعال الخير خالى
لقد ضيعت أيا ما بلهو ولعب ثم يأتيك ارتحال
أما تخشى الإله(١) إذا قدمت بأفعال القبيح وبالمحال
وتشهد أرجل عن ما تمشت وأيد إذ أتى وقت السؤال
أيا مولى الموالى أنت أعلم(٢) بأمر الخلق هذا شرح حالى
إلهى بالنبى وآل بيت وأصحاب هم خير الرجال
أزل عن عبدك الغورى ذنوبا إذا يأتيك(٣) يوم الإنفصال
وصل على النبى الهاشمى نبى صادق أهل الكمال(٤)
إلهى أنت يا مولى الموالى رحيم أنت حى ذو الجلال
فلا تقطع رجانا يا إلهى عبيدك يرتجوا(٥) خير النوال

---

(١) رواية الأزهر : أما تخشى إلها ليس يخفى عليه سوء فعلك فى المحال
(٢) رواية الأزهر : أيا مولى المولى أنت حسبى وتعلم كل ما فى شرح حالى
(٣) رواية الأزهر : أزل عن عبدك الغورى ذنباً ومحضنى بفضلك فى المآل
(٤) رواية الأزهر : وصلى على رسولك ما أتانا بوعد صادق فى كل حال
(٥) فى مخطوطة الأزهر = عبيدك يرتجى ، واللغة الفصحى عبيدك يرتجون .

قافية اللام : [بحر الرمل]

أهل حب الله أرباب الكمال	عاينوا نور جلال وجمال
دهشوا مذ شهدوا ذاك السنا	فى فناء شامخ بالمجد عال
فتغالوا ولهاً فى حبه	ما رضوا شيئا سوى طيب الوصال
لم يخافوا النار لما طلبوا	قربه كلا ولا يخطر ببال
لا ولا يوما أرادوا جنة	وحريرا فى نعيم ودلال
بل أرادوا وجه من فى ملكه	قد تعالى عن شبيه ومثال
هكذا من كان صبا مخلصا	ليس يرضى غير قرب واتصال
أصبح الغورى يرجو بهم	ربه يسعفه فى كل حال
أوتى الملك ولكن قد غدا	عبد رب متعال ذى الجلال
ماله من كل حال غيره	فلهذا بسواه لا يبال
مستغيثا برسول الله فى	هذه الدنيا وفى يوم المآل
صلوات الله مع تسليمه	لرسول الله من غير زوال
ولآل ولأصحاب دواما	ماحكى فى مدحه نظم اللآل

قافيه الميم : [بحر الكامل]

يارب عبد من عبيدك مسلم	مازلت توليه الجميل وتنعم
عودته باللطف منك ولم تزل	أبدا عليه دائماً تتكرم
وغمرته بالفضل حتّى نال ما	يرجوه منك وفوق ما يتوهم
وفتحت باب الجود منك عليه من	إحسانك الوافى وفضلك أعظم
أنت الذى أعطيته كل المنى	حتّى السعادة ثغرها متبسم
فاحسن له تدبير ما أوليته	إذ أنت أعلى يا كريم وأعلم
وأجمع له بين المصالح كلها	فى الدين والدنيا بعقد ينظم
ألف له بين القلوب جميعها	حتّى به ركن الهدى لا يهدم
فالملك ملكك والرعية كلهم	أيضا عبادك أنت فيهم تحكم
وفقيرك الغورى فوض أمره	فيهم إليك فأنت حقا أرحم
فسعادة الدنيا بجودك نالها	فعسى من الأخرى غدا لا يحرم
بشفاعة الهادى النبى المصطفى	هو فى الوجود على الجميع مقدم
شفعه فينا يا رحيم إذا	أضحت لظى وسعيرها يتضرم
هو سيد الرسل الذى نرجو به	أن نحتمى مما نخاف وتسلم
هو ذخرنا وملاذنا وشفيعنا	صلوا عليه أجمعون وسلموا

قافية الميم : [بحر السريع]

إن شيت تدعى فقيهاً قوم فطول الكم ثم عمم
وأجعل على الرأس طيلسانا وأعقدعلىالمنكبينواختم (١)
واجلس مع القوم فى صياح لا بالبخارى ولا بمسلم
إلا زعيق ونفض كم و لا ، ولم لا ؟ ولا نسلم
وإن رأوا الوقف يأكلوه وقد نسوا العلم والمعلم
ثيابهم بيض من رياء وقلبهم بالسواد مظلم
فإن ترى فى الورى فقيها فصح وقل ياسلام سلم

---

(١) هكذا والبيت مكسور .

قافية الميم : [بحر السريع]

خلى الذى أطلع شمس الضحى مشرقة (فى) جنح ليل بهيم(١)
وقدر الخال على خده (ذلك تقدير العزيز العليم)(٢)
بدر ظننا وجهه جنة فمسنا منه عذاب أليم
ينفر كالريم ألا فاعجبوا إلى بخيل وهو عندى كريم
لما انحنى حاجبه وانثنى يهز للعشاق قدا قديم
عجبت من فرط دلالى وهو بدالى المعوج والمستقيم
داوى حبيبى طيب الهوى وخلنى إنى بحالى عليم
فخصره واه وأردافه تثقله واللحظ منه سقيم

---

(١) فى المخطوط (خلى الذى أطلع شمس الضحى مشرقة على جنح ليل بهيم) وبهذه الصورة ينكسر الوزن ، والصحيح ما أثبته فى النص (فى) مكان (على) .
(٢) تضمين من القرآن الكريم (يس : ٣٨)

قافية الميم : [بحر السريع]

صيرنى فى كل واد أهيم   من حظ قلبى منه هاء وميم
مبجل يشبه ريم الفلا   يا طول شوقى من بخيل كريم
لن أنسى من وحشة ليلة   خلفنى أرعى دجاها البهيم ؟
نظرت فى أنجمها نظرة   فقال لى جسمى : إنى سقيم
شوقا لمن لست على حبه   بصالح لكن قلبى كليم
لا أسمع اللوم على حبه   أعوذ بالله السميع العليم
فى شرعة الحب وحكم الأسى   دمع تروج وعذاب مقيم
وثابت الود لربع الحشا   يأتى إلى بقلب سليم

قافية الميم : [بحر السريع]

ياروضة تجنى بألحاظها فجنّى حر الشفا فى النعيم

كن كيف شيت وعن مهجتى فلا تسأل عن حال هذا الجحيم

قافية الميم : [مجزوء الرمل]

يا إلهى أنت بر أنت تواب رحيم
يا إلهى إن قلبى من خطاياى سقيم
يا إلهى إن ذنبى سالف منى قديم
يا إلهى فاعف عنى فلك الفضل الجسيم
يا إلهى لك جود للبريات عميم
يا إلهى أنت فيما لى قدرت حكيم
أحسن التدبير فيه حيث لايغنى حميم
وبه أرغم عدوى فهو شيطان رجيم
عبدك الغورى يرجو منك حلماً يا حليم
يا إلهى فاعف عنه صنه من نار الجحيم
لا تؤاخذ ثم فاغفر ذنبه فهو عظيم
واهده منك بلطف لصراط مستقيم
يا إلهى لك حمد بالثنا منى مقيم
ولك الشكر وقلبى مخلص فيه سليم
وعلى الهادى صلاة مابدا وجه وسيم
مع سلام يتوالى ما زها عقد نظيم
لا إله إلا الله أنت فتاح عليم
لا إله إلا الله أنت رزاق كريم

قافية النون [الوافر]

شكوت إلى الحبيب أنين قلبي إذا جن الظلام فقال : إنا

فقلت له أظنك غير راض بما كابدت فيه فقال : إنا

فقلت له أترضى أن قلبي بأثقال الغرام فقال : إنا

قافية النون [الكامل]

بالملك أنعم ربنا الرحمن
وهو الكريم المنعم المنان

فله علينا الشكر حق واجب
يقضيه قلب صادق ولسان

فالحمد لله الذى إحسانه
أبدا يليه بفضله إحسان

فبملك مصر وما حواه خصنا
وبنصره ثبتت لنا الأركان

قد كان موهبة بلا سعى ولا
فيه تجرد صارم وسنان

ولقد كفانا الله فى أعدائنا
فضلا فبعد صعوبة قد هانوا

وعلى محبتنا بصدق أجمعت
أمراؤنا فى الملك والأعيان

والآن قام على السداد نظامنا
ولنا العساكر طاعة قد دانوا

صاروا على قلب سليم واحد
فى حبنا فكأنهم بنيان

فالله يحفظهم ويجمع شملهم
ففؤادنا من حبهم ملآن

والله يجعلهم جميعاً قرة
لعيوننا فلنا هم الإخوان

فكأنهم للملك سور حافظ
فعلى مصالحه هم الأعوان

والعسكر المنصور كل مخلص
فى نصحنا وجميعهم فرسان

مامنهم من فيه شك عندنا
فيقال فى التعريف ذاك فلان
فكبيرهم كأب وواسطهم أخ
ولنا الأصاغر كلهم ولدان
لكن مقراب المراتب تقتضى
تمييزها فلكل طور شان
فالله ينصرهم فإن الملك من
تمكينهم يزداد أو يزدان
والله بالتأييد منه يمدهم
فبهم يقوم بمجدنا البرهان
ويزيدهم فى العالمين زيادة
من فضله مابعدها نقصان
والأشرف الغورى ناظمها بهم
وبحسن طاعتهم له سلطان
والله يجمعنا على نور الهدى
حتى يزيد لنا به إيمان
ثم الصلاة على النبى وآله
مادام يتلى الذكر والقرآن

قافية النون : [مجزوء الرمل]

أنعم الله علينا   من أياديه الحسان
وكفانا كل سوء   ورعـــانا بامتنان
هو ربى هو حسبى   مسعفى فى كل شأن
لا إله إلا الله لا إله إلا الله لا إله إلا الله لا إله إلا الله
يا حنان يامنان   نسألك الغفران(١)
كم حمانا من خطوب   هى من كيد الزمان
جادلى بالملك منا   منه وهو المستعان
لا بحرب وقتال   لا بسيف وسنان
فله الحمد وشكر   دائماً فى كل آن
حمد رب نال منه   فوق مافى النفس كان
عبده الغورى من قد   أخلص الشكر ودان
يسأل الله طريقا   مستقيما للجنان
مع إسعاف بلطف   منه فى دار الهوان
مع حفظ مع نصر   بهما الملك يصان
بنبى قرشى   شافع يوم الأمان
هاشمى عربى   شرف الكون وزان
فعليه الله صلى   بسلام وحنان

---

(١) البينان على غير وزن القصيرة ويغلب على الظن أنها من ترديد الخضوز فى مجلس الذكر أو دخلا فى جملة القصيدة .

قافيه الهاء : [مجزوء الرمل]

مالنا عز وجاه	غير من نرجو رضاه
فله نحن عبيد	مالنا مولى سواه
وبفيض الجود منه	يبلغ العبد مناه
فإليه نلتجى من	كل ما نخشى أذاه
إن قوما أعرضوا عن	بابه فى الكون تاهوا
ولقد فاز أناس	بثناء الله فاهوا
وله فى جوف ليل	سجدت منهم جباه
وبتهليل وذكر	منهم فاهت شفاه
عبده الغورى أضحى	يرتجى منه رضاه
فقد استرعاه ملكا	بيد الفضل حواه
وبلاء ملك صعب	مشكل زاد عناه
وعليه الشكر حق	أمد العمر مداه
يسأل الله تعالى	عونه فيما ابتلاه
وعن الناس جميعاً	يسأل الله غناه
إنه رب كريم	قد تفضل ورعاه
من عليه قد توكل	حسبه الله كفاه

قافية الواو : [بحر الكامل]

ذكر الحمى وجدا وكان قد ارعوى
صب على عرش الغرام قد استوى
تجرى مدامعه ويخفق قلبه
مهما جرى ذكر العقيق مع اللوى
وإذا تألف بارق من بارق
فهناك ينشر من هواه ماطوى
هل فى أحاديث الهوى من صادق
ماضل شرع للغرام وما غوى
وبمهجتى رشأ أطالت عذلى
فيه الملام وقد حوى ما قد حوى
قالوا : أفيه سوى رشاقة قده
وفتور عينيه وهل موتى سوى
ما أبصرته الشمس إلا واكتست
خجلا ولا غضن نقا إلا التوى
يروى الأراك محاسنا عن ثغره
يا طيب ما نقل الأراك وماروى

من نظم المقام الشريف موشح من نغم التشاورك :

عبد الله فى ملك الله
ظل الله فى أرض الله
عون الله فى خلق الله
يرتجى غفران الله
يا ربى عبدك بالباب
يا ربى عند الأعتاب
يا ربى أنت الوهاب
فانظر لى بصفى (١) الله
يا ربى اجبر كسرى
يا ربى اغنى (٢) فقرى
يا ربى اشرح (٣) صدرى
بالهادى حبيب الله
يا ربى أنت المغنى
يا ربى خذنى منى
يا ربى واجعل عنى
يؤخذ سرك سر الله
يا ربى أنت المقصود
يا ربى اغمر (٤) بالجود
يا ربى عبدك موعود
فانجز لى برسول الله
عبدك الغورى ضعيف

---

(١) فى منتخب الأزهر : بصفا
(٢) واغنى : الأزهر .
(٣) واشرح : الأزهر .
(٤) فاغمر : الأزهر

بالذنوب قلبو (١) نحيف
يرجو عفوك يالطيف
أنت حسبى يا الله

(١) قلبه : الأزهر .

وله من نغم التشاورك أدام الله يامه :

يا لطيف يا كافى
يا حفيظ يا شافى
يا كريم يا واقى
يا رحيم يا ألله
أنت منتهى قصدى
أنت مجزل الرفد
يا رءوف بالعبد
يا رحيم يا ألله
أنت ربى الأعلى
قد غمرتنى (١) فضلا
ربى فاجمع الشملا
بالمراد يا ألله
قد رجوت من ربى
عفوه عن الذنب
كى يدوم فى قلبى
أنسه بذكر الله
أنت سيدى سندى
فى الخطوب خذ بيدى
واكفنى ذوى الحسد
كيف شيت يا ألله
أنت خالق الأمم
أنت باعث الرمم
أنت مسبغ النعم

---

(١) أغمرتنى : أزهر .

العباد يا الله

(ربى أعطنى أملى (١)

منك واعف عن زللى

فالفؤاد فى وجل

من جلال عز الله)

إن عبدك الغورى (٢)

لا يميل للجور

دمعه على الفور

قد جرى لخوف الله

فهو خاضع باكى

من ذنوبه شاكى

حفه بأملاك

يحفظونه يا ألله

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة فى منتخب الأزهر .

(٢) ضبطت فى المنتخب بالضم « الغورى » .

وله من نغم النشاورك :

يا موفق العبد
للدعاء والحمد
منك أرتجى قصدى
غير قاطع وصله
ربى من بك اعتصما
فهو فى عزيز حمى
قد نجا وقد سلما
من طوارق الغفله
يا كريم خذ بيدى
فالدعاء من عددى
لا يزال من مددى
فى جزيل فضل الله
غورى يرتجى الرحمة
من متمم النعمة
وهو يسأل العصمه
من شرار خلق الله

ولـه من نغم الحسينى خلد الله ملكه :

وبنا أدم نعما
جدت لى بها كرما
فيضها حكى ديما
بالغمام منهله
منك سيدى مددى
أنت دائما سندى
أنت آخذ بيدى

فاستعانتى بالله

ملكنا وعسكره
أنت لى تدبره
بالذى تقدره

لى فأكتفى بالله
ربى فاحفظ الأمرا
فيه لى مع الوزرا
والصدور والكبرا

والجنود بالجمله
غورى عبدك الخاضع
منك فى المنى طامع
كن لشمله جامع
ربى فاغفر الزله

من نغم المحير :

جل ربنا عزا
كم أنالنا عزا
فاعتزازنا يعزى
كله بفضل الله
من منامنا أيقظنا
بعد فرقتنا أجمعنا
بالفناء حققنا
كى نفوز بالوصله
كى نشاهد الحقا
لا نلابس الخلقا
عل نحرز السبقا
والرضا معاً جمله
(أنت ربنا المعطى (١)
كل ذنبنا غطى
أنت منجد المخطى
أنت غافر الزله)
غورى عبدك المخلص
كل ذنبه محص
من لظى له خلص
فى الجنان فانظر له

(١) زيادة بالأزهر .

من نغم المصرية

جل من لنا وهبا
ملك مصر واكتتبا
حيث سبب السببا
فى قديم علم الله
ملك مصر نعمته
والوجود رحمته
لا تطاق نقمته
حسبنا الحليم الله
شكرنا له وجبا
إذ قضى لنا أربا
فهو خصنا وحبا
نعمة بفضل الله
(ما لنا سوى كرمه (١)
والدخول فى حرمه
بالسؤال من نعمه
جمله وعفو الله)
غورى قد قضى وطره
فهو حامد شكره
سائل هدى البررة
إنهم هداة الله
رب زده من نعمك
بالنجاة من نقمك
والدخول فى حرمك
فهو لائذ بالله

(لا إله إلا الله محمد رسول الله (٢))

---

(١) زيادة بالأزهر .

(٢) زيادة بالأزهر .

من نغم العشاق العجم :

ربنا و مولانا
ذو الجلال أولانا
نعما وولانا
ملكه بفضل الله
ربنا له الحمد
جل ما له ند
منه يرتجى العبد
فوزه بعفو الله
ربنا له الشكر
ما لعرفه نكر
ليس يبلغ الفكر
ذاته تعالى الله
(رب فاكشف الغمة(١)
أنت واسغ الرحمة
أنت مسبغ النعمه
فى جميع خلق الله)
غورى عبده راجى
منه كل إبهاج
وهو لائذ لاجى
دائما بركن الله
وهو يسأل المولى
أن يغفر له فضلا
بالكتاب إذ يتلى
إنه كلام الله (٢))

---

(١) زيادة بالأزهر .
(٢) زيادة بالأزهر .

وله من نغم الأبوسايلك عز نصره :

يا مدبر الكون
أنت دائما عونى
نحن منك فى الصون
من منيع حرز الله
أنت دائم باقى
أنت حافظ واقى
فاتح لإغلاق
دهرنا بفتح الله
منك كل إسعاف
بالمنى وإتحاف
دائما بألطاف
أدركت بعون الله
فاكفنى مهماتى
دافعا ملماتى
من جميع ما ياتى
فى الزمان يا ألله
غورى مكتف بالله
مرتض بحكم الله
خاضع لأمر الله
واقف بباب الله
منه يرتجى لطفا
طاب ورده الأصفى
فهو دائما يكفى
ما أهمه بالله

من نغم القاهرية :

جل مبدع الخلق
فى الوجود بالحق
فهو فاتق الرتق
من حجاب غيب الله
فيض جوده جارى
سر نوره سارى
فهو خالق بارى
موجد بلا علة
فالقلوب تهواه
رغبة وتخشاه
لا إله إلا هو
واحد بلا قله
باعتبار أسراره
فى بديع آثاره
يهتدى بأنواره
كل مؤمن بالله
غورى يرتجى منه
حسن عفوه عنه
ربى بالهدى صنه
وأعطه المنى كله
واكفه مهماته
فى جميع حالاته
وامح كل زلاته
يا كريم يا ألله

من نغم العراق :

جل ربنا الباری
لطفه بنا ساری
عند حکمه الجاری
فی جمیع خلق الله
ما قضی به یمضی
مبرما بلا نقض
وهو دائما یرضی
مؤمنا أطاع الله
من أطاعه یغنم
من یخافه یسلم
فاللبیب من یفهم(١)
أنه فقیر الله
(یا إلهنا أجمعنا
بالقلوب واسمعنا
فی الدعاء وانفعنا
بالعظات یا ألله) (٢)
غوری عبدك السائل
منك وافر نائل
وهو لیس بالمائل
عن هدی طریق الله
فاهده إلی الحق
ثابتا علی الصدق
واغنه عن الخلق
کلهم بفضل الله

---

(١) یعلم : أزهر .
(٢) زیادة بالأزهر .

من نغم الروضة :

يا ممم النعم
من يديك فى القدم
فاض جدول الكرم
يا جواد يا ألله
ما نريد منك حصل
والنوال منك وصل
للذى دعا وسأل
راجيا لفضل الله
مصر قد حوت منه
روضة به تزهو
حيث تكتسى عنه
من زهورها حله
قد صفا لنا الورد
سيدى لك الحمد
والمراد و القصد
صح عطاء الله
غورى شاكر الرب
باللسان و القلب
خائف من الذنب
لائذ بعفو الله
يا رحيم سره
فى الأمور واستره
يا عظيم وانصره
والصحاب يسرله

من نغم العزل :

يا مدبر الملك
أجرى فيه لى فلك
أنت صاحب الملك
للوجود بالجمله
من سواك لى ذخر
ذلتى له فخر
منه يهبط الصخر
خشية لعز الله
كن ميسرا أمرى
لى وشارحا صدرى
لى ورافعا ذكرى
بامتثال أمر الله
ما استعنت إلا بك
واقفا على بابك
سائلا بأحبابك
حسن لطف صنع الله
قانصوه فى الترك
من ذنوبه يبكى
كالنضار فى السبك
نظمه لذكر الله
كن لعبدك الغورى
عند منتهى الدور
حافظا من الجور
عن هدى صراط الله

من نغم الكردانية :

يا مدبر الخلق
يا مقسم الرزق
كل ذاك بالحق
فى قديم علم الله
ما أراد مولانا
فى وجودنا كانا
من دنا ومن بانا
فهو عن مراد الله
من يكن بما يقضى
فى وجوده يرضى
لم يرد له نقضا
ذلك عنه يرضى الله
نحن ياأخا الفهم
تحت قبضة الحكم
فى تصرف العلم
كيف ما أراد الله
غورى فوض الأمرا
للذى له أجرى
هاهنا وفى الأخرى
خاضعا لحكم الله

من نغم النوى :

ياغزالا بلحظه ينشى نشوة الأكؤس
طفح السكر فى الهوى يفشى مصدر الأنفسى
دمع عينى فيك مدرار سائل ما جمد
وبقلبى من الجوى نار جمرها ما خمد
ويثير الغرام تذكار فيزيد الكمد
وأنا فيك تابع نقشى عنك لم أحبس
وعذولى فى النصح بالغش دائما لى يسى
إن أكن للوصال لم أدرك فلى العشق طاب
لست ممن فى حبه يشرك بل أصيب الصواب
سكن الحال أنت أو حرك ليس عندى اضطراب
غير أن القتاد فى فريشى موجع الملمس
كيف فيه تقلب المفشى فى دجى الحندس
بفؤادى من الهوى داء برؤه يصعب
هو فيما يقال سوداء بيضها ترهب
ووشاتى فى الحب أعداء طال ما ألبوا
حرت فى أى مسلك أمشى مشى مستأنس
ما أرى مسعفا له أرشى فيك بالأنفس
هل ينال المحب مأموله ويزول الحرج
فليالى الكروب موصولة بصباح الفرج
غير أن الدماء مطلوله بسيوف الدعج
من ظباء ليست من الوحش بل من الكنس
ما بلائى من أعين الحبش بل من الجركس
كل ظبى أغر قد خفنا سيف ألحاظه

وبدر السلوك شبهنا در ألفاظه
نظم غورى يزينه المعنى عند حفاظه
كم من الناس ماهرينشى مثله قد نسى
وملاذى مولاى ذى العرش والحمى الأقدس

من نغم النيريز :

يا مسير القلب (١)
فى منازل القرب
أنت رافع الحجب
عن قلوب أهل الله
فى الجلال قد قاموا
ليلهم وما ناموا
فى الجمال قد هاموا
لذة بحب الله
أيقنوا وما ارتابوا
أملوا وما خابوا
عن وجودهم غابوا
فى سنا وجود الله
(وردهم هو الصافى(٢)
ربهم لهم كافى
حظهم هو الوافى
من جزيل فضل الله
غورى صادق الحب
فى أولئك الحزب
إنهم على الرب
هم أعز خلق الله
باعتقاده يرجو
أنه غدا ينجو
سادة لهم نهج
موصل لباب الله)

(١) ميسر : الأزهر ورواية أخرى فى المجموعة نفسها : يامصير القلب .
(٢) زيادة فى الأزهر .

أنت سيدى حسبي
فاعف رب عن ذنبي
وأعطى منى قلبي
من رضاك يا ألله
كيف يبلغ الفهم
أو يصور الوهم
أو يحقق العلم
منتهى صفات الله
جل عظموا شانه
مجدوده سبحانه
واسألوه غفرانه
فهو غافر الزله
أنت مانع معطى
للعباد بالقسط
غورى عبدك المخطى
من يسأل الوصله
أنت ربه صنه
وارض بالهدى عنه
واقبل الدعا منه
فهو واثق بالله

رب أنت مسئولى
بغيتى ومأمولى
منك أرتجى سولى
ياكريم يا ألله
يا كريم فاغفر لى
زلتى وقدر لى
توبة ويسر لى
ما أريد يا ألله
يا عليم دبرنا
فى الأمور وانصرنا
واهدنا وبصرنا
بالصواب يا ألله
سيدى ومعبودى
مطلبى ومقصودى
قد غمرت بالجود
والعطاء يا ألله
غورى برتجى الرحمة
وهو يسأل العصمة
فهو منك فى نعمه
نالها بفضل الله
وهو حامد شاكر
غير جاحد ناكر
وهو مخلص ذاكر
خاشع لذكر الله

يا معاشر القوم
لا حياة فى النوم
بالصلاة والصوم
طاب عيش أهل الله
أعرضوا عن الفانى
واغتنوا بعرفان
فاغتدوا كطوفان
دمعهم من المقله
هم عبيد مولاهم
ربهم تولاهم
عن سواه أخلاهم
مجزلا لهم فضله
غورى مخلص الحب
بالضمير والقلب
منه فى ذوى القرب
إنهم رجال الله
رب لاتخيبه
رب لا تجنبه
منك رب طيبه
بالرضا بقسم الله

سر أحمد الهادى
ظاهر السنا بادى
فأمداحه زادى
فى توجهى لله
فهو شافع الأمه
وهو كاشف الغمه
كل من له همه
يهتدى به لله
مصطفى رسول الله
مصطفى حبيب الله
فهو نور عرش الله
وهو خير خلق الله
غورى منه قد أمل
عز جاهه الأكمل
مع قبول ما يعمل
خالصا لوجه الله

يا مكور الشمس
يا مفضل الإنس
يا مكمل النفس

يا مكرم الجمله

رب خير فتاح
جد بالمصطفى الماحى
وفقنى لإصلاح

يا حكيم يا ألله

عن فنائى أفنينى
واجمعنى لتبقينى
حتى لا ترى عينى

فى الأكوان إلا الله

كن بمقصدى واف
واحفظنى بألطاف
يا لطيف يا كافى

يا حفيظ يا ألله

غورى عبدك التائب
من ذنوبه آيب
أنت للمنى واهب

والذنوب والوصله

يا حنان يا منان
أنت ربى يا رحمان
يا إله العالمين
أنت خير الراحمين
أنت خير الوارثين
أنت حسبى يا ألله
يا وهاب يا عليم
أنت تواب رحيم
غورى عبدك مذنب
منك عفوا يطلب
أنت نعم المطلب
يا حليم يا ألله
اغفر لى ذنبى
واستر لى عيبى
يا إله العالمين
يا حليم يا ألله
يا ديان يا غفور
أنت حسبى ياشكور
سلطاننا فانظر له
ذنوبه فاغفر له
وملكه أصلح له
يا حليم يا ألله

قال الغورى :

عز مولانا لاإله إلا　　هو المحسن البر الرحيم
الكريم المنعم الرحما　　ن ذو الفضل العظيم
فهو ربى وهو حسبى　　وهو من لطفه قد حف بى

من سالف العهد القديم

لى ملك مصر قد تفضل ورعى　　والذى عاند الحق العظم رميم
وأنا الغورى عبد خاضع　　أسأل الرحمن جنات النعيم
ونظامى محكم ينبئ　　بجميع للصراط المستقيم
وعلى الهادى صلاة　　وسلام ماهمى الغيث العميم .

المعهد ينعى

الدكتور محمد مرسى الخولى

ينعى معهد المخطوطات إلى الأمة العربية والإسلامية وإلى كل العاملين فى خدمة التراث العربى ، واحداً من أبنائه الذين ساهموا فى توطيد أركانه الأستاذ الدكتور محمد مرسى الخولى ، وكيل المعهد وأحد العلماء المشهود لهم فى ميدان التعريف بالمخطوطات وتحقيقها ، مع التواضع الجم والخلق النبيل ، وقد توفاه الله فجر يوم السبت ٢٠ فبراير (شباط) ١٩٨٢ .

ولد الفقيد فى ١٩٣٠/٩/٢١ فى محافظة المنوفية ، وتخرج فى كلية اللغة العربية سنة ١٩٥٨ ، وعمل مصححاً بدار المعارف لمدة سنتين (١٩٥٨ – ١٩٥٩) ثم التحق للعمل فى معهد المخطوطات العربية سنة ١٩٥٩ وتدرج فى مناصبه حتى صار وكيلا للمعهد . وقد أسهم خلال فترة عمله فى المعهد إسهامات جليلة فى فهرست مقتنياته وأشرف على إخراج مجلة المعهد وحرر « نشرة أخبار التراث العربى » منذ صدورها ، وقدم الكثير من العون والمشورة للباحثين والعلماء المترددين على المعهد فساعدهم على اختيار موضوعات لرسائلهم ووجههم إلى تقصى الكثير من المصادر التى تهم دراستهم وكلهم يذكرون له ذلك بالشكر فى مقدمات كتبهم .

والفقيد حاصل على الشهادة العالية لكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر عام ١٩٥٨ .

وفى سنة ١٩٦٩ نال درجة الماجستير بتقدير ممتاز من كلية اللغة العربية وكان موضوعها « أبو الفتح البستى – حياته وشعره » ، وقد طبعت فى عام ١٩٨٠ وصدرت عن مؤسسة الأندلس فى بيروت .

وأحرز درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى من نفس الكلية وكان موضوع الرسالة : « أدب السمر عند العرب حتى القرن الرابع الهجرى ، مع تحقيق كتاب الجليس والأنيس الكافى للمعافى بن زكريا النهروانى » . وصدر الجزء الأول من الكتاب فى بيروت فى أوائل سنة ١٩٨٢ .

إنتاجـــه العلمى

حقق الفقيد ونشر الكتب التالية من التراث العربى :

١ — كتاب بهجة المجالس للإمام ابن عبد البر القرطبى ، ونشرته وزارة الثقافة بالقاهرة ، وهو فى أربعة أجزاء فى مجلدين ، الأول سنة ١٩٦٤ ، والثانى سنة ١٩٦٧ .

٢ — أخبار الأزكياء ، لأبى الفرج ابن الجوزى ونشرته مؤسسة الأهرام عام ١٩٧٠ .

٣ — محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار ، لمحيى الدين بن عربى ونشرته مؤسسة الأهرام أيضاً عام ١٩٧١ .

٤ — كتاب البرصان والعرجان والعميان والحولان ، لأبى عثمان الجاحظ ، نشر دار الاعتصام بالقاهرة عام ١٩٧٢ ، وطبع طبعة ثانية فى مؤسسة الرسالة ببيروت سنة ١٩٨١ .

٥ — مقالات وبحوث ونصوص خاصة بالتراث العربى فى مجلة معهد المخطوطات العربية وبعض المجلات المتخصصة .

وله تحت الطبع الكتب التالية :

١ — سانحات دمى القصر فى مطارحات بنى العصر ، لأبى المعالى الطالوى ، وهو شاعر عربى عاش بين سوريا ومصر والقسطنطينية فى القرن العاشر الهجرى ، وتنشره المكتبة العتيقة بتونس .

الفهرس

صفحة

مطبعة التقدم
ت : ٨٤١٤٢١

رقم الإيداع ٣٢٨ / ٨١

R E V U E
DE L'INSTITUT
DES MANUSCRITS
ARABES

Périodique Semestrial pour les manuscrits et les archives arabes.

Prix de l,abonnement P. T. 250

Toutes les communications relatives à la rédaction doivent être adressées au :

Directeur de l'Institut des Manuscrits

ALECSO

1. Rue Shihab - Mohandissine - Giza

R.A.E

LIGUE DES ETATS ARABES
L'Organisation Arabe pour l'Education, la Culture et les Sciences

REVUE DE L'INSTITUT DES MANUSCRITS ARABES

Vol. 26 al - Muharram 1401 A. H. Fasc. 2
Novembre 1980 A. D.